468

HARLEQUIN

روايات أحلام

لهيب الظل

ريبيكا وينترز

www.elromancia.com

مرمورية

لهيب الظل

إنها مستعدة للقيام بأي شيء لتستعيد زوجها!
إضافة إلى الصدمات التي مرت بها أجبرت دومينيك على خوض المعركة الأصعب في حياتها. كانت مسألة حياة أو موت.
كل شيء كان مهدداً بالخطر بما في ذلك زواجها...
الآن بعد مضي عام كامل، استعادت صحتها. لكن المعركة الأقسى لم تنته بعد، إنها عازمة على استعادة الزوج اليوناني الوسيم الذي تعشق مهما كلف الأمر...
أندرياس بدوره قدر شجاعة زوجته الجميلة ووافق على طلبها أن يعيشا زوجاً وزوجة مجدداً لشهر واحد فقط!

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Husband by request
First Puplished in Great Britain 2005
Harlequin Mills & Boon Limited
©Rebecca Winters 2005
Translation © Dar El-Farasha - 2010
ISBN 978 - 9953 - 15 - 485 - 5

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950 - 453115 -1-0961 - بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

ريبيكا وينترز

أم لأربعة أولاد، ومعلمة سابقة.

تركت مهنة التدريس حيث كانت تدرس اللغتين الفرنسية والإسبانية. أصبحت اليوم قادرة على تمضية المزيد من الوقت مع أسرتها، والقيام بالأسفار وكتابة الروايات لـ «ميلز أند بونز». تلك الروايات التي تحبها كثيراً.

يمكنكم زيارة موقعها على الإنترنت:

http: www. rebecca winters-author.com

١ ــ عودة الماضي

ظهرت دومينيك في باب غرفة الفندق في نيويورك بثوب سباحة أصفر جديد وسألت: «كيف أبدو في هذا أمي؟».

حدّقت فيها أمها بعينين مغرورقتين بالدموع وقالت: «غاية في الجمال».

- تعلمين ماذا أقصد.

- عملية التجميل مثالية. لن يعلم أحد أنك استأصلت أحد ثدييك.

- لكن أندرياس سيلاحظ الفرق.

- في خلوة غرفة نومكما وحسب.

حدقت دومينيك في أمها وقالت: «تعنين إن سمح لي بالاقتراب منه إلى هذا الحدّ مجدّداً».

- سيفعل، لأنك ستجدين طريقة لتقرّبينه منك مجدّداً.

- بما أنني رأيت الطبيب فلا وقت أضيعه.

- لقد بقيت فترة طويلة جداً بعيداً عن أندرياس. تذكري فقط أنك كنت مرغوبة لدى زوجك قبل الخضوع لعملية التجميل. لقد تزوجك بعد استئصال ثديك مباشرة ومنذ تركته وهو يرفض منحك الطلاق. لا أرى أي مشكلة في الأمر.

- كان عاماً محبطاً ومريعاً وأنا بعيدة عنه أمي. بعد الطريقة التي تركته بها لن يرحب بعودتي بذراعين مفتوحتين.

- أنا واثقة من أنه سيفعل. ما إن يفهم ما الذي مررت به والسبب

www.elromancia.com

الذي جعلك تبتعدين عنه، سيزداد حباً بك.

أجابت بحرقة المشتاق الذي يتوق لرؤية من يحب مجدداً: «تقولين ذلك لأنك أمي. لكن هذا ليس كافياً ربما».

- كفاك كلاماً. أعطاك الدكتور كانفيلد تقريراً ممتازاً.

أومأت دومينيك وقالت: «إنها الأخبار التي كنت أنتظرها. كنت أتمنى في أيام الثانوية لو أن صدري أكبر حجماً لكن قيل لي إنّ صغر حجمه أهلني لهذا النوع من الجراحة. أصلّي كي يكون ذلك صحيحاً. إن حصل خطب ما فسأجري عملية أخرى».

- سمعت الطبيبة تقول لك إن المشاكل لا تصيب سوى عشرة بالمئة من النساء فقط فلا تبحثي عن المشاكل.

- لن أفعل. همي الأكبر والأوحد هو أن أجد الطريقة الأفضل للتقرب من أندرياس. أوّد كثيراً ان أفاجئه لكن الأمر بغاية الصعوبة سيما حين أفكر في مدى تحفظه.

- لِمَ لا تتصلين به وحسب؟.

- كلا فأنا أريد أن أراه أولاً، أن أفاجئه. بعد أن نعود إلى البوسنة، سأقوم ببعض أعمال التحري بحيث لا يشك مطلقاً بما أفعله.

- نظراً للظروف الراهنة، يستحسن بك أن تسرعي وتغيري ملابسك لئلا نتأخر في الوصول إلى المطار.

اندفعت دومينيك نحو الحمام. لم تكن لديها أي نية في تفويت موعد رحلتها.

كانت يداها ترتجفان وهي تضع ثوب السباحة في الحقيبة، ففي المرّة التالية التي ترتديه فيها ستكون أمام زوجها. ستعرف من نظرة واحدة ما إذا كان فقد كل رغبة فيها أم لم يفعل. سيخبرها ما إذا كان أمام زواجهما أيّ فرصة للاستمرار.

بعد مرور اثنتي عشرة ساعة دخلت دومينيك مكتب والدها في

قنصلية الولايات المتحدة في سراييفو حيث تعمل. لقد حان الوقت لوضع خطتها قيد التنفيذ. شعرت بانقباض في معدتها ناجم عن الخوف والإثارة في آنٍ واحد.

أثناء الرحلة من نيويورك خطرت لها فكرة الإتصال بمقرعمل أندرياس في أثينا حيث تدعي أنها سكرتيرة أحد المستوردين البوسنيين تود مناقشة صفقة تجارية معه. ستكتشف بتلك الطريقة إن كان في المدينة أم لا.

بعد تفقدها البريد، قررت الخروج من المكتب قليلاً وإجراء الاتصال من مكتب بريد يبعد بضعة أبنية عن مكان عملها.

وفيما هي تنهض عن كرسيها رن الهاتف الداخلي في المكتب فأجابت: «نعم والتر؟».

- بول كريستوفولوس هنا وهو يود رؤيتك.

سرّع الخبر خفقات قلبها، فصديق أندرياس الحميم ومساعده الشخصي في الخارج يريد مقابلتها؟

كانت دومينيك قد سمعت عن المصادفات لكن هذه الصدفة تحديداً كادت تفقدها وعيها. عادت تغرق في الكرسي تنتظر أن يزول الشعور بالغثيان ويعود جسمها إلى حرارته الطبيعية.

إن كان بول قد أتى إلى القنصلية في سراييفو بنفسه فسبب واحد أتى به. أندرياس يريد الطلاق الآن وقد أرسل بول للتفاوض.

منذ عام واحد طلبت من أندرياس الطلاق وكان ردّه الوحيد أن أضاف المزيد من المال إلى حسابها المصرفي. أموال لم تمسّها قط.

وأعادت الطلب مرتين لكنها قوبلت بالصمت نفسه. وسرعان ما أدركت أن أندرياس لا ينوي منحها الطلاق، فالثراء والسلطة مكّناه من وضع قواعده الخاصة.

استسلمت للأمر في النهاية، لرفضه المتكرر، مدركة أن كبرياءه لن تسمح له بأن يدعها تغادر وتتركه. سيمنحها الطلاق حين يزول غضبه

وتهدأ أعصابه. لكن قدوم بول غير المتوقع يعني أنها انتظرت طويلاً لتقابل زوجها وتتحدث إليه.

قاطع والتر أفكارها وسألها: «هل أخبره أن عليه أخذ موعد أولاً أو أن لديك الوقت لمقابلته الآن؟».

لا بد أن أندرياس التقى امرأة أخرى.

وضعت راحتي يديها على الطاولة أمامها وقالت: «دعه يدخل والتر ولا تحوّل لي أي اتصالات».

حين دخل بول مكتبها استدارت حول الطاولة واقتربت منه تحييه. كان أطول من أندرياس الذي يبلغ طوله متراً وثمانين وذا بنية جسدية قوية. إلا ان شعر بول لم يكن أسود كشعر أندرياس بل مائلاً إلى الحمرة.

بول الوفي الهادىء هو الرجل الذي يثق به أندرياس كأخ له، إنه الرجل الذي يلعب دور الحارس الشخصي لزوجها أحياناً.

كان قد طرأ عليها الكثير من التغييرات منذ رآها آخر مرّة، كما أن الأجواء بينهما منذ عام مضى كانت جليدية. لكن الذنب كان ذنب دومينيك نفسها، فنوبات الألم التي كانت تصيبها جعلتها تترك قاعة المحكمة قبل أن تنتهي الجلسة فعلياً.

حينذاك أقلها بول إلى المطار في محاولة منه لمنعها من المغادرة إلى أثينا قبل أن يتمكن أندرياس من التحدث إليها. ولكن وضعها كان مزرياً وقد أبلغت بول أنها ستطلب الطلاق رغم أن زواجها لم يدم إلا أربعة أشهر فقط.

وبدلاً من العودة إلى كرسيها خلف المكتب، استندت دومينيك على حافته وثنت ذراعيها فوق صدرها لتقول: «تسرّني رؤيتك مجدداً بول، اجلس. هل أحضر لك ما تشربه؟».

ظل واقفاً وأجاب: «لا سيدة ستاماتاكيس».

سيدة ستاماتاكيس. التسمية الرسمية... الصحيحة.

- لم ينادني أحد بهذا الاسم منذ غادرت أثينا قبل عام مضى.

ما أن عادت للعيش مع والديها حتى نزعت خاتم الزواج وأصرّت على أن يناديها الجميع باسمها قبل الزواج.

تمتم بشكل غير متوقع: «لقد تغيرت».

بمعنى آخر، لم تعد تلك الشابة غير الواثقة التي هربت من أندرياس منذ اثني عشر شهراً. منذ أن اتخذت قرارها المحزن بترك زوجها، حدثت لها تحولات دراماتيكية على الصعيد النفسي والجسدي.

إن مراقبة بول لها عن كثب بهذا الشكل يعني أن تلك التغييرات صعقته تماماً.

افتر ثغرها عن ابتسامة وهي تتخيل ردّ الفعل ذاته على ملامح أندرياس، حتى لو اختار أن يطلقها في النهاية، لكن دومينيك لن تدع ذلك يحصل.

- لم تتغير كثيراً بول.

كانت ملامحه لا تزال قاسية، وهو يضع النظارات ذات الإطار الأسود نفسها. كان يكبر أندرياس البالغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً بسنة واحدة فقط، إلا أن بول بدا أكبر سناً لا سيّما وهو يضع قناع رجل الأعمال كما يفعل الآن.

لم يرد لها ابتسامتها لكنها أدركت أن مظهرها أذهله ولو لمرّة واحدة في الحياة. خانته برودة طبعه المخيفة الآن، ولاحظت طيف تردد قبل أن يفتح حقيبته ويسحب منها ملفاً.

سلمها إياه قائلاً: «تجدين هنا عرضاً بغاية السخاء. بعد أن قراءته كل ما عليك فعله هو أن تدوني اسمك وتضعي توقيعك في الأسفل لتعودي الآنسة دومينيك آينسلي مجدداً».

أعادت دومينيك المغلف إلى الحقيبة من دون أن تكلّف نفسها عناء فتحه أو النظر فيه. ثم رفعت نظرها إليه لتقول: «قبل أن أوقع على أي

وثيقة، أريد أن أرى أندرياس شخصياً. أين عساي أجده؟».

تأملها بول بتمعن قبل أن يجيب: «على اليخت».

بالطبع، إنه شهر أيلول أي التوقيت المثالي للتواجد على متن «كيغناس»، فالطقس رائع. وسألته: «كم من الوقت سيظل على متن اليخت؟».

سكت لبرهة قصيرة قبل أن يجيب: «يعتمد ذلك على أولمبيا».

انتقض قلبها بين ضلوعها.

هكذا إذاً... يبدو أن أولمبيا لا تزال المرأة الأخرى.

مجرّد ذكر اسمها فتح جرحاً عميقاً في قلب دومينيك فتلك المرأة هي السبب في تركها أندرياس أساساً. لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل ما إذا كان بول ينتظر لإعادة فتح الجرح بقسوة من جديد.

لقد حقق هدفه لكن ما من شيء سيثنيها عن عزمها مواجهة زوجها وجهاً لوجه والكفاح من أجل الحفاظ على زواجها.

استقامت دومينيك في مشيتها واستدارت حول الطاولة وقالت: «لا يفاجئني هذا، فحبهما لشقيقة أندرياس لطالما قرّبهما من بعضهما البعض. أفترض أنك أتيت على متن قاربه السريع».

لم يكلف نفسه عناء الرّد أو لعله لا يزال متفاجئاً من أن الحديث عن أولمبيا لم يسبب الكثير من الضرر.

وعادت تقول: «سأعود معك».

- أندرياس يتوقع عودتي اليوم.

- هذا طبيعي. لكن لا مشكلة في ذلك، فبحكم عملي، أنا أسافر كثيراً وأبقي جواز سفري معي.

ودوائي كما خطر لها تلقائياً.

سحبت حقيبة يدها من الدرج السفلي. ولمحته بطرف عينها يمد يده لإخراج هاتفه الخلوي.

- ما كنت لأفعل ذلك لو أني مكانك فانا لا أزال السيدة

ستاماتاكيس كما ذكرتني بنفسك منذ بضع لحظات. وبما أن زوجي ادعى أنه سيحبني للأبد فلن تتدخل بيننا، أليس كذلك؟

نشأ أندرياس وبول معاً في اثينا وكانا صديقين طيلة عمرهما. وولاؤه لزوجها لا يعرف حدوداً، لكن تصرفاتها جعلته يفقد شيئاً من هدوئه وهذه ظاهرة لم تتوقع حدوثها مطلقاً.

شرحت له تقول: «هذه المرّة أنا أطلب مساعدتك. فهل أتوقع الكثير؟ أودّ أن أرى أندرياس قبل مغيب الشمس. هل ننطلق؟».

لم يقل شيئاً بل سارا متجاوزين طاولة والتر في مكتب الاستقبال.

- قل لأبي إني مغادرة إلى اليونان. غداً صباحاً، أكون قد عرفت ما سأفعل وسأتصل به.

نظر عامل الاستقبال إليهما بفضول قائلاً: «جيد جداً».

وبعد ثلاث ساعات كانت الطوّافة بانتظارهما في مطار أثينا لتعيدهما إلى جزيرة كيفالونيا.

جالت نظرات دومينيك النهمة على جمال المياه المائلة إلى الخضرة والشطآن الرملية الذهبية التي أمضت عليها أوقاتاً رائعة مع أندرياس. مع هبوط الطائرة بدا أن مرفأ فيسكاردو الصغير الساحر يرتفع للترحيب بقدومهما.

- لا أرى يخت «سيغناس» في المرفأ.

- أندرياس يبحر منطلقاً من زاكينثوس. وهو لا يتوقع قدومي قبل وقت متأخر من بعد ظهر هذا اليوم.

نظرت إلى ساعة يدها فلاحظت أنها الثانية والنصف بعد الظهر بحسب التوقيت المحلي، فقالت: «هذا جيد. يمكننا الاستفادة من الساعات القليلة لشراء بعض الحاجيات لا سيّما مع المبلغ الذي ينوي التكرّم به عليّ».

تبعها بول في جولتها على المتاجر لتشتري ما قد تحتاجه في رحلتها البحرية. في إحدى غرف القياس خلعت بذلتها الرسمية

ولبست ثوب سباحة أزرق اللون لفت نظرها. ثم لبست فوقه ثوباً جذاباً صيفياً، ولم يساعد لونه الأبيض على إخفاء اللون الأزرق تحته.

انتعلت صندلاً ونزعت الربطة التي تشد شعرها إلى أعلى ومرّرت مشطاً في الخصلات الذهبية التي تركتها تنسدل على كتفيها.

حين خرجت من غرفة القياس رأت بول يفتح فمه ذهولاً، ما شكل دليلاً على دهشته التامة. إنها المرة الثانية في يوم واحد. سرّت كثيراً لقدرتها على إبهار ذراع أندرياس اليمنى الذي لا يهزه شيء.

حوّلت نظرها إلى الماء فرأت أن اليخت عاد إلى المرفأ.

لقد عاد أندرياس. أخذ قلبها يخفق بعنف لمجرّد تصوّر ردّ فعل زوجها عند رؤيتها.

بعد شراء غرض أخير على عجل، أسرعت نحو القارب تنتظر وصوله على الرصيف. رجال البلدة التفتوا للتحديق فيها لكنهم لم يتمكنوا من إطلاق صيحات الإعجاب لوجود بول برفقتها.

شعرت بالرضا لقدرتها على لفت انتباه الجميع إلا أن أندرياس هو الرجل الوحيد الذي ترغب في إبهاره.

تعرّفت إلى أحد أفراد الطاقم الذي قفز من مكانه عند رؤيتهما قادمين وصرخ بذهول: «سيدة ستاماتاكيس..».

وجحظت عيناه حتى كادتا تقفزان من مكانهما. من الواضح أن التغيير الذي طرأ على زوجة أندرياس الخجولة أذهل الجميع.

- مرحباً مايرون، مرّ وقت طويل على لقائنا. كيف حالك؟

رمق بول بنظرة قلقة قائلاً: «بخير».

- وكيف حال عائلتك؟ لا بد أن نيكو أصبح بطولك الآن.

قفزت إلى المركب قبل أن يتمكنّ أحد الرجلين من مساعدتها.

تمتم كلاماً غير مفهوم وقد بدا عليه الاضطراب التام. بوجود أولمبيا على متن اليخت، ما من عجب في استمرار مايرون في توجيه

إشارات تحذير قلقة إلى بول. أوضح لها تصرّفه هذا أن أندرياس وأولمبيا حبيبان فعلاً.

لقد أنكر أندرياس الأمر منذ وقت طويل، ولعله كان يقول الحقيقة. لكن الأمور تغيرت كثيراً أثناء العام الماضي على ما يبدو.

قفز مايرون خلفها قائلاً: «دعيني أساعدك».

- شكراً لك.

من الواضح أنه لم يكن سعيداً بما يجري. ومما لا شك فيه أنه كان يأمل أن يمنع بول حدوث الكارثة، إلا أن هذا جلس في مكانه غير آبه على ما يبدو بقلق الرجل الآخر.

ولم يعد أمام مايرون من خيار سوى تشغيل المحرك ونقلها إلى «سيغناس». بعد مرور بضع دقائق فقط تسلقت السلالم المؤدية إلى ظهر اليخت لترى المزيد من الوجوه المذهولة تحييها بدهشة.

كان اليخت بمثابة الحرم الذي يخلو فيه زوجها إلى نفسه وها هي الآن تقتحمه. لكنها لا تزال السيدة ستاماتاكيس. لم تجد أيّ أثر لأندرياس أو أولمبيا.

- هل لي أن أحمل أغراضك إلى إحدى غرف الضيوف؟

- لا بأس ليون، سأنزلها بنفسي إلى غرفة نومنا الرئيسية.

- ولكن...

تركته يتلعثم بالكلام ونزلت السلالم التي تقود إلى غرفة النوم الرئيسية في الأسفل. لم تكن دومينيك تعلم ما الذي قد تجده، لكن الأمر لا يهم. لقد أدركت طيلة العام الماضي أن شعورها بعدم الكفاية هو سبب هروبها من أندرياس.

كان بأمس الحاجة إليها حين رفع عليه زوج أولمبيا قضية تهمة زنا، قضية انتشرت في وسائل الإعلام. حينذاك طلب منها أندرياس أن تثق به لكن جروحها العاطفية وعدم نضجها منعاها من البقاء معه.

ولهذا السبب أتت اليوم، لتخبره بمدى أسفها لأنها لم تؤمن

www.elromancia.com

بحبهما بما يكفي لتسانده وتنتظر شرحه للأمور.

لعلها تأخرت عاماً كاملاً لكنها مستعدة الآن لتسمع ما لديه، لتمنح زواجهما الفرصة التي يستحق.

طارت قدماها وهي تتجاوز الممر المؤدي إلى الجناح الرئيسي حيث أمضت هي وأندرياس ليالي لا تنسى. دقت دومينيك الباب لكنها لم تلق أي جواب، فأدارت المقبض بحذر.

خرجت شهقة من صدرها حين اكتشفت أن الغرفة الأنيقة قد تحوّلت إلى غرفة للأطفال، مجهزة بكامل المعدّات مع خزانة ملابس صغيرة ومكان لتغيير الحفاظات، وأرجوحة تتدلى من السقف.

وكانت لا تزال تحت تأثير الصدمة حين وضعت أغراضها على أحد المقاعد ومشت على رؤوس أصابعها نحو السرير.

من بين القضبان رأت صبياً صغيراً أسود الشعر ينام بعمق وقد ألبسته أمه ثياباً زرقاء اللون.

أهو ابن أندرياس؟ لقد تأخرت كثيراً في العودة.

شعرت بيد ضخمة تعتصر قلبها وتكاد تنتزعه من مكانه. لم تتمكن من خنق شهقتها فأيقظت صرختها الطفل الذي نظر إلى الوجه الغريب.

- لا بأس حبيبي. لا بأس.

وكلما حاولت طمأنته كلما ارتفع صوت بكائه.

غريزة الأمومة الدفينة دفعتها إلى حمله بين ذراعيها فيما أخذ يصرخ بصوت أعلى متصلباً بين ذراعيها. حاولت أن تهدئ من روعه، ولكنه ظل يرفض أن يستكين أو يسكت.

وفجأة، سمعت صوت امرأة ينادي: «أنا آتية آري، آتية».

وفتح باب الغرفة وظهرت أولمبيا السمراء الجميلة التي لم تبدُ يوماً أجمل مما هي الآن. وهرعت إلى الداخل حاملة قنينة حليب بيدها.

لكنها أطلقت صرخة خافتة وتسمّرت في مكانها حين رأت من

يحمل طفلها. راقبت دومينيك اللون يختفي من وجهها. من الواضح أنها كانت آخر شخص في العالم توقعت أولمبيا رؤيته على متن اليخت.

سارعت إلى تسليمها الطفل الذي دفن رأسه في عنق أمه.

- أنا آسفة لأني أخفته. نزلت لأضع أغراضي ولم تكن لدي أدنى فكرة عن وجود طفل هنا. حاولت تهدئته لكن كل ما فعلته هو أني روّعته.

قبّلت أولمبيا وجنة طفلها الذي بدأ يهدأ وقالت بينما نظراتها تجول ببطء على وجه دومينيك: «من الواضح أنك تبحثين عن أندرياس. لا يزال في أثينا لكننا نتوقع انضمامه إلينا قريباً، أليس كذلك آري؟».

نتوقع «نحن».

فهل منحها زوجها ثيو الطلاق؟ وإن فعل، فمتى حصل ذلك؟

بعد كل تلك الأشهر من الشعور بالذنب لأنها لم تصدّق زوجها وتثق به، ها هي تكتشف إمكانية أن تكون محقة بالتخلي عنه، وأنه لا يستحق الثقة فعلاً.

سرى في أوصالها شعور بالألم والارتباك لا سيما وأن أولمبيا لم تبد حزينة أو منزعجة. وبعد أن زالت مظاهر الدهشة عن وجهها بان الإعجاب بالنفس.

كان بول يعرف تماماً ما الذي يفعله عندما نزل عند رغبة دومينيك وتركها ترافقه إلى «سيغناس». كان يعلم ما الذي ستجده حين تقتحم غرفة النوم. ما من شك في أن بول تصوّر أنها ما أن ترى الطفل حتى توقع أوراق الطلاق وتسرع عائدة إلى سراييفو. لعله الآن يفرك يديه فرحاً بما أنجزه.

لكن تلك كانت دومينيك القديمة التي تفتقر إلى الثقة بالنفس. أما دومينيك الجديدة فقد أتت إلى اليونان لأنها أرادت أن تثبت لأندرياس أنها امرأة واثقة من نفسها وزوجة تستحق الحياة والحب.

www.elromancia.com

لذا، ستنتظر عودة أندرياس وسيتكلمان سوياً على انفراد. سوف تصغي إلى ما سيقول. بعدئذ، ستختار إما أن توقّع أوراق الطلاق أو أن تكافح مجدداً للفوز به.

هزت كتفيها بعزم وقالت: «آسفة لاقتحام الغرفة أولمبيا».

كانت المرأة الأخرى قد جلست إلى حافة السرير وهي تحمل آري بين ذراعيها، فقالت: «لا بأس فقد حان الوقت ليستيقظ من نومه، عادة ما يلاعبه أندرياس قبل تناول طعامه».

سرورها بالاهتمام بطفلها أشار إلى دومينيك بالخروج. بدا واضحاً أن المرأة الأخرى لا ترغب في إخبارها بأي شيء فحملت دومينيك حقيبة يدها وأكياس التبضع وغادرت الغرفة.

كانت غرف الضيوف تقع في آخر الممر بالقرب من السلالم. دخلت دومينيك إلى إحداها ووضعت أغراضها على الكرسي. وبدلاً من الاستسلام للرغبة في التكدر والبكاء عادت إلى ظهر السفينة لتستفيد من أشعة الشمس إلى حين وصول أندرياس.

لا بدّ أن طائرة المروحية ستقلّه من مكتبه إلى كاليفونيا. وضعت المقعد حيث ستتمدد في مكان واضح للقادمين إلى اليخت.

حافظ بول على وعده فلم يبلغ أولمبيا بوصول زائر غير متوقع لكنها تصوّرت أنه اتصل بزوجها.

خلعت الثوب وتمددت تحت أشعة الشمس. كانت الحرارة مقبولة والسماء صافية فوضعت الكريم الواقي من الشمس على جسمها.

بعد مرور بضع دقائق أحضر لها ليون عصيراً وسندويش من دون أن يسألها إن كانت تشعر بالجوع. شكرت لباقته وشرعت تلتهم ما جلبه لها بنهم.

مرّت الثواني كفصول وهي تنتظر وصول أندرياس. ومع أن الشمس غرقت في البحر إلّا أنها ظلت في مكانها غير راغبة في تفويت لحظة وصوله.

عاد ليون وأحضر لها الليموناضة وبعض المجلات فشكرته مجدداً وتمددت على بطنها كي تقرأ..

أصيبت بخيبة كبرى لأن أندرياس لم يصل بعد، فنهضت أخيراً عن المقعد الطويل ونزلت السلالم لتستحم. وشعرت على الطريق ببعض النعاس الناجم عن السفر وعن ثورة المشاعر فاستلقت على السرير قليلاً ريثما تستعيد قوتها.

الأمر التالي الذي أدركته هو صوت الباب يغلق والنور يضاء فانقلبت على السرير ببطء لترى من كان ذاك.

رأت أندرياس يقف بجانب السرير الضخم ببذلته الحريرية الرسمية. رمقها بنظرات ثاقبة بعينيه السوداوين تحت الحاجبين السوداوين الكثيفين كجناحي غراب.

فرغت رئتاها من الهواء لرؤيته بعد تلك الأشهر كلها.

بدت ملامح وجهه الأسمر الوسيمة أكثر ليونة. لمحت ظلالاً على قسمات وجهه وعلى وجنتيه البارزتين. وكان الشق في ذقنه أكثر وضوحاً، لكن فمه لا يزال مغرياً كحاله دوماً. فكّرت في أنه خسر القليل من وزنه لكن هذا لم يسهم إلا في جعله أكثر جاذبية.

لقد فوتت لحظة وصوله، تلك اللحظة القيّمة التي كانت تنتظرها.

وبدلاً من أن تأخذه على حين غرّة باغتها هو ليجدها مستلقية على السرير تغط في نوم عميق وهي لا تزال في ثوب السباحة. كان ذلك محرجاً وشعرت أنها مجرد حمقاء.

كان شعرها مشعثاً وأثر الأغطية مطبوعاً على وجنتها وساقها، وقد فاحت منها رائحة الواقي من أشعة الشمس.

قال لها بصوت أجش «إن أردت أن تفاجئيني فقد نجحت فعلاً».

انزلقت دومينيك عن السرير ووقفت قائلة: «ألم يقل لك أحد إني هنا؟».

جالت عيناه على جسمها لكنها لم تستطع أن تدرك ما الذي يدور

في رأسه.

- ليس قبل أن تخبرني أولمبيا أنك هنا.

آه، أولمبيا طبعاً، لقد ذهب إليها أولاً.

لا يمكن أن تكون أولمبيا بعيدة عن المكان الذي يتواجد هو فيه. لطالما كان الأمر كذلك.

- أين بول؟

- لعله نائم. فالوقت يكاد يقارب منتصف الليل.

- لم أكن أعرف أن الوقت متأخر إلى هذا الحد.

كانت عيناه تتأملان شعرها ووجهها قبل أن يقول: «هذا واضح تماماً، لما أزعجت نفسك بالمجيء دومينيك؟ أنت امرأة حرة الآن. ظننت أنك ما عدت تودّين أن تطأ قدماك أرض اليونان مجدداً».

نظرت إليه بعمق وصارحته القول: «أنا لم أوقع الأوراق».

أمال رأسه جانباً يسألها: «أتريدين المزيد من المال؟ طلبت من بول أن يمنحك المبلغ الذي تطلبين».

فركت دومينيك راحتي كفيها الرطبتين على ساقيها وقالت: «المال لا يهمني».

تسمّر مكانه: «ماذا تريدين؟ أهو المنزل في أثينا؟ أو الفيللا في زاكينثوس؟ أم أنك ترغبين في الحصول على شيء من الممتلكات التي لا أعرف بوجودها؟ قد يكون هذا اليخت ما تصبين إليه. قولي فقط ما تريدين وسيكون ما تطلبين ملكاً لك».

جرحتها كلماته عميقاً وآلمتها كثيراً فأجابت هامسة بنبرة معذبة: «أنت تعرف ما الذي أريده».

التوت شفتاه بشكل مقزز وهو يقول: «كنت أحسبني أعرف».

ارتفعت يداها في الهواء بحركة غير واعية: «اسمعني اندرياس يسعني ان أتصوّر مدى الغضب الذي شعرت به حين تركتك..».

سمعت أنفاسه المتقطعة وهو يجيب بعنف: «كلا، لا يسعك أن

تتصوري ذلك. شعرت بالغضب لوقت طويل بحيث بدأت أخاف من نفسي. لكن تلك المرحلة باتت وراء ظهري وحمداً لله. إن أردت أن تتركي لدى انطباعاً بأنك أصبحت امرأة كاملة، قادرة على لفت انتباه أي رجل، فهذا ليس ضرورياً. بل سأكون صادقاً معك وأقول إني أفضّل ذاك الجمال الهش والعينين البريئتين اللتين كانتا تقولان لي يوماً إني قلبك وروحك. تلك المرأة ولّت لكني أحيي فيك الآنسة آينسلي الجديدة. أخبري بول بكل ما تريدين. سوف أرسله إليك في الصباح لتوقّعي الأوراق. آمل أني كنت واضحاً بما يكفي فأنا لا أرغب في رؤيتك مجدداً آنسة دومينيك».

٢ ــ هل شفيت؟

شعر أندرياس بالحاجة إلى مكان يتغلب فيه على المشاعر التي اجتاحته وموجة الأدرينالين التي هددّت بإغراقه. لكن آخر ما يريده هو تفرّس طاقم اليخت فيه ومعرفة الوضع الذي زجّته فيه دومينيك بظهورها الساحر المفاجئ كشبح من الماضي.

مع أنه لم ينفك يلعنها طوال أيام وليالي الأشهر الإثني عشر الماضية الشبيهة بالكابوس إلا أنه لا يمكن ان ينكر أنه كان سعيداً بلا شك لتغلّبها الدائم على المرض الذي كاد يودي بحياتها.

مرّت أوقات كثيرة خشي فيها ظهور السرطان مجدداً لديها، كما خشي أن يكون هذا هو السبب الذي منعها من أن تحاول الاتصال به. وحين أبلغته أولمبيا أنها على متن اليخت لم يصدقها.

نسي قلبه أن يخفق عشرات المرات وهو يتأمل جسدها النائم على السرير. لم تكن تضع خاتم الزواج بل ترتدي ثوب السباحة الذي ما كانت تستطيع ارتداءه ولا في أحلامها.

حتى بعد ان استيقظت، بقيت الصورة التي رسمتها برموشها الطويلة، التي تخفي عينين بنفسجيتين تسمّرتا عليه، محفورة في رأسه.

اللعنة عليك يا بول!

قاده الغضب نحو حجرة الرجل الآخر ففتح الباب بعنف ودخل.

- كنت أتوقع قدومك. أدخل.

كان بول يجلس إلى الطاولة ينجز بعض الأعمال على الكمبيوتر المحمول. رفع النظارات عن عينيه ونظر عبر الغرفة إلى أندرياس

الذي أغلق الباب بقوة قبل أن ينقض عليه.

كان يفهم بول بما يكفي لمعرفة أنه لم يوافق على زواجه من دومينيك، مع أن الرجل الآخر لم يقل ذلك يوماً بشكل علني. لم يكن على بول أن يجاهر برأيه فالرجلان يفهمان بعضهما جيداً أو هذا ما ظنه أندرياس.

- كيف يصادف أنها على متن اليخت بول؟

- إنها لا تزال زوجتك وقد طلبت مني أن أكون مخلصاً وأتكتم.

جاهد أندرياس لينظّم تنفّسه وتقدّم منه قائلاً: «وماذا الذي جعلك تفعل هذا؟».

- بعد أن تجاهلت رغبتها في الحصول على الطلاق ظننت أنها مجرد لفتة صغيرة تحصل عليها بالمقابل.

اشتدت عضلات فكي أندرياس وهو يقول: «لكن لتكتمك عواقب إذ وجدتها أولمبيا تحمل آري بين ذراعيها».

أغلق بول الكمبيوتر أمامه قائلاً: «بما أنك تنوي أن تطلّق دومينيك، فأي فارق قد يشكل ذلك؟».

اللعنة عليه مجدداً.

- أول ما أريده في الصباح هو أن توقع الأوراق وأن ترافقها إلى خارج اليخت. وحين تغادر تماماً تعود إليّ بالأوراق الموقّعة. هل أطلب الكثير؟

رمقه صديقه بنظرة انتقاد قبل أن يجيب قائلاً: «كلا».

بعد وقت طويل من مغادرة أندرياس، ظلت دومينيك تشعر بالحجرة تشتعل بحرارة غضبه وحنقه.

هرعت إلى الحمام وفتحت المياه لتتدفق بقوة. لحسن الحظ أن لا أحد يمكنه أن يسمع نوبة البكاء التي انتابتها.

ما أن انتهت من الاستحمام حتى ارتدت الثوب الذي اشترته. كانت تشعر بالاضطراب وعدم الرغبة في النوم فوجدت نفسها بالقرب

www.elromancia.com

من كوة اليخت تحدق في صفحة الماء من دون أن ترى شيئاً.

لم يجد أندرياس أي متعة في النظر إليها الليلة. كان يبحث عن دومينيك القديمة التي أنقذها بعد حصول الحادثة الرهيبة أمام الفيللا التي يعيش فيها في زاكينثوس.

منذ ستة وعشرين شهراً كانت قد أنهت لتوها سنتها الجامعية الأولى في نيويورك. حين زارت الطبيب لإجراء فحص روتيني وصورة للثدي أظهرت أنها مصابة بورم سرطاني.

خضعت على الفور لعملية تبعتها فترة علاج كيميائي وشعاعي. حين أصبحت بحال جيدة تمكّنها من السفر، انضمت هي وأمها إلى أبيها في سيرابيفو حيث عملت لصالح وزارة الخارجية الأميركية.

اتبعت هناك برنامجاً قاسياً من التمارين الرياضية لتقوية جسمها. وعندما أصبحت قوية بما يكفي شاركت في سباقات ماراثون منظمة في كل من البوسنة واليونان.

وحين سمعت بسباق الخمسة عشر كيلومتراً الذي سيقام على جزيرة زاكينوثوس في البحر الإيوني قررت المشاركة. لكن قرارها جاء مخالفاً لرغبة والديها، إذ كانت شديدة النحول. وقد أخبرها الطبيب أن عليها أن تزيد وزنها قليلاً بحيث لا تعرّض قدرتها على الإنجاب للخطر.

شعر والدها بالقلق الشديد عليها فاضطرت لأن تعدهما بأن تتوقف عن الركض حالما ينتهي السباق وتركّز على جهودها على اكتساب المزيد من الوزن.

طارت إلى زاكينثوس مع بعض العدائين من رفاقها واشتركوا جميعاً في السباق. وبعد اجتياز نصف المسافة تعرّجت الطريق وأصبحت تركض بمحاذاة أرض خاصة مسيّجة. بينما كانت دومينيك تدور حول منعطف ظهرت أمامها شاحنة فجأة وصدمتها وجعلتها تفقد وعيها.

كان أندرياس شاهداً على الحادث، فحملها إلى داخل الفيللا واتصل بالطبيب. ولوقف النزيف نزع عنها القميص الممزق الملطخ بالدماء وصدرتها الرياضية التي تحمل بداخلها الطرف الإصطناعي.

عندما استعادت وعيها رأت عيناها الرجل اليوناني الأكثر وسامة الذي رأته في حياتها. كانت نظرات عينيه السوداوين غاية في الرقة وهو يبتسم لها ويطمئنها إلى أنها بأمان. لم يخطر لها ابداً أنه رأى الندبة التي خلفتها عملية استئصال ثديها. لكن بعد أن عاينها الطبيب، علمت أن أندرياس أنقذها من الموت.

لم تتمكن من أن تفهم كيف كان ينظر إليها وكأنها تحمل له السعادة في حين سقط شعرها المستعار الذي تخفي تحته الوبر القليل على رأسها. فبعد آخر علاج كيميائي خضعت له، لم ينمُ شعرها سريعاً.

كان الرجل ضخماً قوي البنية مفتول العضلات، فيما هي رثة الهيئة مغطاة بالدماء فشعرت بالرغبة في الاختفاء نظراً لما سببه لها اهتمامه الكبير من إحراج. وقبل أن تدرك ما يحصل، دعا والديها ليكونا في ضيافته لضعة أيام حتى تتماثل للشفاء وتتعافى بشكل يسمح لها بالعودة إلى سرابيفو. كما أنه أصر على أن يحضرا بطائرته الخاصة إلى أثينا قبل الإنتقال إلى الهليكوبتر الخاصة به.

وبعد مضي فترة قصيرة على عودتها إلى الديار حيث منزل أبويها، قدم أندرياس إلى سرابيفو. في الواقع لحق بها مساء اليوم ذاته الذي عادت به، فدعته أمها للبقاء في ضيافتهم.

وما كان يفترض به أن يستمر يوماً واحداً صار أسبوعاً كاملاً إذ أعجب والداها كثيراً به وأحباه.

عشقته دومينيك في سرها إذ كان أكبر من الحياة نفسها بالنسبة لها. نشاطاته في عالم الأعمال جعلت اسمه مشهوراً في كافة أنحاء اليونان. كان أكبر منها بعشر سنوات وأكثر منها خبرة وفلسفة. بدا

www.elromancia.com

ببساطة بعيداً عن منالها بقدر أقرب كوكب إليها.

على الرغم من احتجاجاتها وإصرارها على أن مرض السرطان قد يعود للظهور في أي وقت، إلّا أنه أصرّ على أنّ الأمر غير مهم. وتزوجا بعد أشهر قليلة في كنيسة عائلته في أثينا. وهمسا عند المذبح متعهدين أن يعيشا معاً السنوات المتبقية من عمرهما ويستمتعان بها.

على الرغم من حضور عائلته للزفاف، إلّا أن استقبال أفرادها لها جاء بارداً. أبلغها أندرياس أن أهله يعيشون فترة حداد على وفاة ابنتهم ماريس، التي قتلت قبل سنتين في حادث سيارة مأساوي، ما شكل صدمة كبرى للعائلة.

طلب من دومينيك ألا تهتم للأمر وقال إنّ الجميع سيرحب بها حين تنقضي فترة الحداد. تقبلت دومينيك شرحه لكنها أدركت في أعماقها أنهم لم يحبوها ولم تتمكن من أن تمتنع عن إلقاء اللوم على نفسها. لقد آذتها قلة اهتمامهم بها وحماستهم أثناء مراسم الزفاف. بعد ذلك مباشرة، أمضت دومينيك وأندرياس شهري أيار وحزيران على متن اليخت سيغناس يستمتعان بشهر عسل طويل.

كان أندرياس عاشقاً ولهاً وحبيباً رائعاً. ليلة بعد أخرى كان يغريها بتناول أطعمة مغذية فهو يريد طفلاً لذا بدا من الضروري أن يجعلها تكيسب بعض الوزن.

وكان يدعو أحياناً أولمبيا وثيو بانوس المتزوجين حديثاً للانضمام إليهما. وتعود صداقة أندرياس وأولمبيا إلى زمن بعيد إذ كانت صديقة أخته منذ أيام الطفولة، وكان أندرياس يشعر بنوع من الولاء لصديقة أخته الحميمة.

وبما أن أندرياس كان يستمتع بوجود أولمبيا نظراً لما ربطها بأخته الوحيدة من علاقة حميمة اعتادت دومينيك أن تشجعه على دعوة الثنائي لتمضية عطلة نهاية الأسبوع معهما. كان ثيو من عمر أندرياس تقريباً ويدير شركة لبيع الأقمشة، ولطالما كان ضيفاً مرحاً ومسلياً.

كانت أولمبيا ودودة بما يكفي في حضور الرجلين لكنها لم تبذل أيّ جهد كي تصبح هي ودومينيك صديقتين حقيقيتين.

عندما تكونان وحدهما تتصرف أولمبيا بشكل مختلفة تماماً إذ أخبرت دومينيك قبل زفافها أن ثيو يعتقد أن أندرياس رجل شجاع لإقدامه على الزواج بها فقلة هم الرجال الذين يحتملون العيش مع امرأة تعاني من مشكلة كمشكلتها.

حينذاك، رفضت دومينيك السماح لتعليق أولمبيا أن يؤذيها وهي التي تشعر بسعادة عارمة، لكنها شعرت بالعار لأنه لم يخطر لها أن تأسف على نفسها إلى هذا الحد بعد أن تم اكتشاف السرطان لديها. فلولا اصابتها بالمرض لما خاضت سباقات الماراثون ولما أنقذها الرجل الذي تعشقه بكل نبض في عروقها.

استمر شهر العسل بعد عودتهما إلى زاكينثوس ثم حلّ شهر آب واضطر أندرياس للعودة إلى العمل. غادرا إلى أثينا حيث أخذت سعادتها تختفي شيئاً فشيئاً حتى لم يتبق شيء من زواجهما السعيد.

اتصل بها أندرياس من المكتب في إحدى الأمسيات وأخبرها أنه لن يعود إلى المنزل قبل اليوم التالي. وقد دهشت حين لم يخبرها بسبب قيامه بذلك.

وفي الأسبوعين التاليين أصبحت مشاعره نحوها أكثر فتوراً وكان يتأخر في الانضمام إليها في الفراش ولا يفعل إلا بعد أن تكون قد نامت وهي تنتظر قدومه. مع ذلك لم يخبرها عن السبب الذي أحدث هذا التغيير الجذري في علاقتهما. كل ما طلبه هو أن تثق به.

وفي إحدى الليالي لم تعد قادرة على تحمّل المزيد من الغموض والتشويق وطالبته بمعرفة الحقيقة، فرفع نفسه على مرفقه وحدّق فيها قائلاً: «أردت ان أحميك لكنك تملكين الحق في أن تعرفي أن ثيو رفع دعوى ضدي».

ماذا؟ شعرت بقلبها يكاد يتوقف فركعت على ركبتيها ونظرت إليه

وقالت: «ولماذا قد يرفع دعوى ضدك بحق السماء وأنتما صديقان؟».

اشتدت عضلات فكي أندرياس وهو يقول: «كلا لم نكن يوماً صديقين حميمين. لطالما كان يحسد علاقتي بأولمبيا وها هو يتهمنا بالزنا».

شعرت بالدم يتدفق بقوة في عروقها ولم تتمكن من إخفاء نبرة الرعب من صوتها وهي تقول: «ولماذا يشعر أنه مهدد إلى هذا الحدّ؟».

تفرّس في ملامحها طويلاً قبل أن يقول لها: «لأنه عثر علينا معاً في شقتي منذ بضعة أسابيع».

أحسّت وكأنها على وشك مفارقة الحياة وهي تهمس: «أي شقة؟».

- أملك شقة في بلاك من أجل العمل والأشخاص الذين يضطرون للبقاء في ضيافتي

- لم تخبرني بذلك من قبل؟

- لم أخف عنك ذلك عمداً دومينيك. الحقيقة أني أملك شققاً في مختلف أنحاء اليونان من أجل رحلات العمل.

حين تأوهت علم أنها اعتبرته سخيفاً وتابع: «الوضع مع أولمبيا ليس كما يعتقد ثيو، أقسم لك، لكني لا أستطيع التحدث في الأمر الآن. يجب أن تدركي فقط أني أحبك أنت».

طوقها بذراعيه حتى كاد يسحقها وقال: «إنه ارتباط حتى الموت».

كانت تعلم أنه يحبها، وتعلم أيضاً أن العديد من الرجال لديهم زوجات يحبونهم ولديهم أيضاً عشيقات يستمتعون بتمضية الوقت معهنّ.

كانت أولمبيا تصغرها بسبع سنوات، وهي امرأة جميلة رشيقة القوام وقوية الإرادة. كانت دومينيك تشعر بأن أولمبيا تعشق اندرياس وتعتبره بطلها منذ سنوات. ولعل الانجذاب موجود بينهما منذ سنوات

مراهقتها، أي حين جعلتها علاقتها بماريس ترى أندرياس غالباً.

لكن المنطق أخبرها أنه لو أراد الزواج بأولمبيا لفعل، وذلك قبل أن تخوض سباق الماراثون الذي قادها إلى طريق الفيللا الخاصة به. إذن، ما الذي حصل وغيّره؟ هل اكتشف متأخراً جداً أن تشوّه شكلها يشكّل له مشكلة؟ هل انتهى به الأمر إلى الشعور بالشفقة نحوها وهو ينتظر ليتحسن وضعها كي يمنحها الطلاق؟

لعله وجدها ناقصة جداً من الناحية الجسدية واكتشف أن أولمبيا هي المرأة التي كان يودّ أن يتزوجها أصلاً.

لم تحتج إلى مخيلة واسعة لتفهم السبب الذي جعل أندرياس يسعى وراء المرأة الأخرى إذ أراد امرأة ثانية غير عروسه الطفولية المظهر التي يظنها الناس صبياً عن بعد.

ابتعدت دومينيك عن الحافة قليلاً: لعلها لم تعد عروسه المتشرّدة لكنها لا تزال زوجته. إن لم تكن الشفقة هي الدافع وراء انتظار أندرياس طوال هذا الوقت قبل أن يمنحها الطلاق، فلا بدّ أن السبب مرتبط بثيو نفسه. ربما كان أندرياس ينتظر حتى يمنح ثيو أولمبيا الطلاق أولاً، فثيو رجل إغريقي بإمتياز.

لعله قرر أن يجعل زوجته تتألم عبر فضح علاقتها بأندرياس ومع ذلك البقاء متزوجاً منها. إن كان آري ابن أندرياس فإن الألم الذي سببه له ثيو لم يؤثر فيه سوى قليلاً.

لم تستطع دومينيك أن تدّعي أن وجود الطفل لم يصبها بالصدمة. لكنها عادت إلى اليونان لتطلب السماح من زوجها لأنها لم تثق به، وإن هربت الآن مجدداً من دون أن تمنح أندرياس فرصة ليشرح لها سبب وجود أولمبيا وآري في الغرفة التي أمضيا فيها أوقاتاً لا تنسى فهذا يعني أنها لم تتعلّم شيئاً من العام الماضي.

كانت عازمة على مواجهة الأمور بحزم فنزلت تحت الأغطية واستسلمت للنوم.

www.elromancia.com

في وقت ما رن جرس الهاتف بالقرب من السرير. وتفاجأت حين لاحظت أن الصباح قد طلع. المتصل شخص واحد فقط وهو ليس أندرياس حتماً. وعلى الرغم من ذلك ظل قلبها يدق بسرعة وهي ترفع السماعة: «نعم؟».

- هذا أنا بول، هل أستطيع المجيء إلى غرفتك؟

- طبعاً.

- سأكون هناك بعد خمس دقائق.

وارتدت دومينيك ملابسها على عجل ومررت فرشاة في شعرها ثم وضعت أحمر شفاه فاتح اللون.

وعندما طرق الباب، فتحت له الباب وقالت: «أدخل بول».

كان يحمل في يده الملف الذي أخرجه من الحقيبة يوم أمس، لكنها تابعت الحديث قائلة: «لِمَ لا تجلس إلى الطاولة؟».

ومن دون أن تنتظر إجابته، بدأت توضيب أغراضها في الحقائب. كانت تشعر أنه يراقبها. وحين لم يتفوه بأي كلمة أخذت المبادرة وقالت: «سأسهّل الامر عليك. احتاج أندرياس وقتاً قبل أن يمنحني الطلاق وقد اكتشفت أني أحتاج وقتاً قبل أن أوقع على أي ورقة».

- تصورت ذلك حين لم توقعي في سيرابيفو.

أومأت برأسها وقالت: «أخبرني أندرياس أني أستطيع الحصول على ما أشاء سواء أكان ذلك مالاً أم أملاكاً. لذا وحتى إشعار آخر سوف أبقى في الفيللا في زاكينثوس».

سيثور أندرياس غضباً لهذا القرار. وكانت تأمل أن يلحق بها كي يتكلما على انفراد.

- إن كنت تستطيع، اطلب لي الهليكوبتر لتقلني فأنا جاهزة الآن.

- إنها بانتظارك.

من الطبيعي أن تكون الهليكوبتر بانتظارها فقد أرادها أندرياس أن ترحل هذا الصباح.

نهض بول عن الكرسي وقال: «ألا تريدين تناول الفطور أولاً؟».

- سأتناوله لاحقاً.

حملت أغراضها وخرجت من الباب فلحق بها بول.

كان الهدوء يخيم على المكان حين وصلا إلى ظهر اليخت إذ لم تتجاوز الساعة السابعة والنصف وكان يوم آخر جميل قد بدأ للتو. شقت طريقها إلى ميمنة السفينة حيث تمكّنت من رؤية المركب الصغير يتخبط في المياه الزرقاء.

حين وصلت إلى أسفل السلم أخذ بول منها الحقائب فيما حيّاها مايرون وساعدها على الصعود إلى المركب الصغير. وبعد ان سلمّها سترّة النجاة أدار المحرّك متوجهاً إلى الشاطئ القريب.

كان بول من اللياقة بحيث ساعدها على حمل الحقائب ومشيا نحو الهليكوبتر معاً.

رفضت دومينيك أن تنظر إلى الوراء. فمن الآن وصاعداً شعارها هو المضي قدماً من دون السماح للأفكار السلبية بتعذيبها. لقد علّمها صراعها مع مرض السرطان الكثير.

مرّت بأوقات ظنت فيها أنها لن تبقى حيّة لكنها وياعجوبة ما نجت من العلاج الكيميائي. إنها أشهر أرادت نسيانها لكن جسمها كان ضعيفاً واهناً بحيث لم تتمكن من أن ترفع رأسها عن الوسادة.

ها هي الآن قوية وصحيحة ومستعدّة لتحارب على جبهة أخرى.

عندما استدارت لتشكر بول على مساعدته تفاجأت لرؤيته يصعد بجانبها فقالت له: «سأكون بخير بدءاً من الآن. لا بد أن أندرياس بانتظارك».

وضع الحزام وقال لها: «سأرافقك لأتأكد من أنك لن تواجهني أيّ مشكلة».

لسبب ما أخذ المبادرة ليساعدها. ولم تفهم تصرفه لكنها كانت ممتنة له ولم تشأ أن تتطفل أكثر، فقالت: «شكراً لك».

وما أن ربطت الحزام حتى دارت المحركات وشعرت بالهليكوبتر ترتفع شيئاً فشيئاً عن الأرض.

سرعان ما لم يعد اليخت سوى نقطة صغيرة في البحر الأزرق الكبير. أحسّت بألم كبير وهي تدرك أنها تبتعد عن اندرياس مجدداً لكنها لم تكن تبتعد هذه المرة لتخرج من حياته، ليس بعد كما تأمل.

وجدت نفسها تتأمل المشاهد من الأعلى وهي في طريقها إلى جنوب زاكينثوس، إحدى أكبر الجزر في البحر الأيوني وقد تملّكها شعور غريب.

كانت فيلا أندرياس العصرية البيضاء مخبأة في منطقة قليلة السكان حيث الصخور تتداخل مع زرقة البحر وتجعل المنظر أخاذاً.

ذهلت لقدرة القائد على الهبوط بدقة في المكان المحدد وكأنه نسر يحط مباشرة على الفريسة.

استدارت نحو بول الذي قفز وراءها مباشرة ليسلمها الحقائب وقالت له: «أدرك أنك خالفت رغبة أندرياس بمساعدتي. شكراً لانك كنت صديقي على الرغم من أن ذلك يتعارض مع حدسك».

مرّت لحظة شعرت فيها أنه يريد أن يقول شيئاً لكنه عاد وغيّر رأيه. أرادت أن تحثّ بول على قول ما يدور في رأسه لكنها لم تتمكن من ذلك بوجود القبطان.

استطاعت أن ترى «إيليني» تقف بعيداً وهي مدبرة المنزل التي تتولى شؤون عائلة أندرياس في الفيللا.

سارت دومينيك نحوها، فأدركت المرأة الرمادية الشعر من تكون مع تقلّص المسافة بينهما ووضعت يديها على وجهها متعجبة ثم اطلقت صرخة تعجب.

- صباح الخير إيليني، كيف حالك؟

- لم يخبرني أكيري ستاماتاكيس بقدومك.

- لا يعرف أني هنا بعد، لكن لا بأس. بول جلبني إلى هنا.

حدقت المرأة في دومينيك وقالت: «تبدين مختلفة».

- لم أعد أشبه عداءة الماراثون المصابة التي عالجتها منذ وقت طويل، أليس كذلك؟ لم أنسَ مطلقاً كم كنت لطيفة معي لا سيما في الأيام الأولى.

طغت الرقة على ملامح المرأة المسنّة: «كنت مريضة حتى بعد الحادث. هل شفيت من السرطان؟».

- للأبد، على ما آمل.

أشرقت المرأة وهي تسأل بارتياب: «كم ستبقين هنا؟».

- لست واثقة من ذلك بعد.

عندئذٍ، قال بول شيئاً باليونانية. كانت دومينيك قد تعلمت القليل من تلك اللغة، لكنها لم تتمكن من فهم الحديث السريع الذي يدور بينهما.

لكن، مهما كان ما قيل، لم تعد «إيليني» تطرح أسئلة بل حملت الحقائب ببساطة وقالت: «تعالي معي».

أحست دومينيك بدفء صوت المرأة يدخل إلى قلبها مباشرة.

- سأضعك في الغرفة الزرقاء حيث نقلك أكيري ستاماتاكيس بعد الحادث على الطريق.

إن كانت تلك طريقة «إيليني» في تجنيب دومينيك أيّ مفاجأة غير سارة في غرفة النوم الرئيسية تشير إلى وجود أولمبيا وآري، فهي ممتنة لذلك.

لحقت هي وبول بمدبرة المنزل إلى الداخل حيث عرفت الكثير من السعادة مع أندرياس.

لعل مهمتها محكومة بالفشل، لكنها لو واجهت مرض السرطان بهذه السلبية لما تمكنت من النجاة أبداً. ستغذّي الأمل في أن يأتي إليها اندرياس وينفس الغضب الذي كبته طويلاً ليتمكن من التحدث إليها فعلاً. هذا كل ما تأمله حتى هذه اللحظة.

- هل تحتاجين أيّ مساعدة أخرى قبل أن أغادر إلى أثينا؟

استدارت دومينيك على عقبيها لتنظر إلى بول وسألته: «ألن تعود إلى اليخت مباشرة؟».

- كلا، لديّ بعض الأعمال لأقوم بها أولاً.

- وأنا أيضاً. هل أستطيع مرافقتك؟

طرف بعينيه وسأل: «هل تريدين الذهاب إلى هناك اليوم؟».

- أجل.

أرادت دومينيك الحصول على إيضاحات بشأن العديد من النقاط، وثيو هو الشخص الوحيد القادر على الإجابة عن أسئلتها.

- اسمح لي فقط أن أبدل ملابسي وأرتدي شيئاً مناسباً.

- بالطبع.

لم تكن بحاجة لمساعدة «إيليني» لتصل إلى الغرفة الزرقاء. وما أن دخلتها حتى ارتدت ثوباً أبيض فضفاضاً كانت قد اشترته في اليوم السابق. وحين نظرت في المرآة لاحظت مسرورة أن حمام الشمس البارحة ترك أثراً على بشرتها.

وبعد أن انضمت إلى بول في البهو استدارت نحو إيليني وقالت: «سوف أعود الليلة أو غداً».

- جيد جداً.

- لنذهب بول.

* * *

قطب أندرياس جبينه حين نظر إلى ساعة يده. كان الظهر قد حلّ وبول لم يعد بعد ليطلعه على ما حصل. نهض عن كرسيه وسار نحو غرفة صديقه.

وحين لم يسمع جواباً على طرقه الباب أدرك أندرياس أن بول لم يعد وأن دومينيك تسبب له المتاعب. لم يكن من عادة بول أن يدع أي مشكلة تعترض طريقه. وإن كانت المسألة قد استغرقت كل هذا الوقت

فهذا يعني أن بول بحاجة للمساعدة وهو أمر لا يمكن لأندرياس تصوّره.

ومع أنه صمم على عدم رؤية دومينيك مجدداً، إلّا أنه خشي أن تكون لا تزال في غرفتها تناقش تفاصيل الطلاق مع بول.

وبتعابير متوجمة توجه أندرياس إلى حجرتها ومن دون أن يكلّف نفسه عناء الطرق على الباب فتح الباب ودخل. لم يجد أحداً. كان السرير لا يزال غير مرتب ما يؤكد أنها أمضت الليلة هنا، كافح لئلا يسترجع صورتها وهي مستلقية هنا. وكبت فكرة حرمانه من الأنوثة الدافئة لعام كامل.

أين هما يا ترى؟

وعندما استدار ليخرج وقع نظره على مغلف على الطاولة وتناوله وأخرج الاوراق من داخله.

لم تكن قد وقعتها بعد.

أخذ نفساً عميقاً وتوجه إلى مكتبه حيث ترك هاتفه الخلوي. سوف يخبره قائد المروحية ما يود معرفته.

وبعد لحظات سمع القبطان يقول: «أخذتها أولاً إلى زاكينثوس».

أولاً؟ أطلق أندرياس شتيمة بصوت منخفض.

- وأين بول؟

- سيد كريستوفولوس ذهب إلى أثينا. وقد قررت السيدة ستاماتاكيس مرافقته.

قطب جبينه سائلاً: «هل أنزلتهما في المطار؟».

- كلا، بل في مبنى شركتك. قالت إن لديها عملاً تقوم به في المدينة.

أي نوع من الأعمال هذا؟

تصلّب فكّه: «فهمت، عد إلى «فيسكاردو» وأقلني. سأكون بانتظارك».

www.elromancia.com

- حاضر سيدي.

أعاد الهاتف إلى جيبه وحمل الملف وذهب إلى حيث أولمبيا على ظهر السفينة.

كانت تجلس على حافة المقعد الطويل تراقب «آري» وهو يلعب.

نظرت أولمبيا إليه وكأنها تتوقع قدومه وسألته: «هل وقعت أوراق الطلاق؟».

أخذ يحدق في صفحة المياه من دون أن يرى شيئاً: «كلا».

تصرفها الغريب تركه في حيرة من أمره.

- أظن أنني أعلم السبب.

أطبق أصابع قبضتيه بغضب وقال: «أنت إذاً تعلمين أكثر منّي».

- حين طلبت منك الطلاق في بادئ الأمر لم تطالب بأي مبلغ من المال، لكني أظن أن شيئاً ما قد حصل وجعلها تغيّر رأيها.

سألها اندرياس: «شيء مثل ماذا؟».

- أولاً، من الواضح أنها خضعت لعملية تجميل ما يكلف الكثير. ثانياً وبسبب إصابتها بالسرطان في هذه المرحلة المبكرة من حياتها، لا بدّ أن طبيبها أخبرها أنه من الممكن أن يعود المرض للظهور. نحن نعلم أن طبيبها الخاص اقترح أن تستأصل الثدي الآخر كإجراء وقائي. لعلها ستحتاج لمزيد من المال للقيام بذلك.

إنقبضت معدة أندرياس لأن اولمبيا تطرقت لتوها إلى المواضيع التي تملؤه ذعراً.

- إن انتشر المرض في جسمها فستضطر لمواجهة المزيد من الحروب في المستقبل، والكلفة مرتفعة جداً.

أحس بمرارة في حلقه.

- كلانا يعلم أنها ليست شخصاً جشعاً وأنها لن تتوسل إليك للحصول على شيء. لديها من الكبرياء ما يمنعها من القيام بذلك، وإلا لما غادرت قاعة المحكمة من دون الاستماع لأي من الإفادات.

تخليها عنك يدل على عدم نضج ما كان يفترض به أن يفاجئك نظراً لصغر سنها.

لقد تخلت عنه دومينيك حقاً وقد عاودته الذكرى لتعذبه.

- لعلها فكرّت في السنوات القادمة وعادت إلى هنا لتضمن الحصول على المال. فكر فقط في ما لو اضطرت لدخول المستشفى مراراً وتكراراً والخضوع للعلاج الكيميائي والمزيد من الجراحة.

سيطرت عليه الفكرة وعادت به الذكرى إلى الليلة الماضية حين أخبرها أنه لا يود رؤيتها مجدداً. ماذا لو كانت أولمبيا محقة وتبيّن أن دومينيك بحاجة لمزيد من العمليات الجراحية، لكنها لم تتمكن من إخباره بذلك؟

إلا أن أولمبيا تابعت كلامها غير منتبهة للعاصفة التي في داخله: «أذكر أنها أخبرتني مرة كم كانت تكره أن تشكّل عبئاً على والديها. وبما أنّ والدها موظف حكومي، فمن الطبيعي أن تلجأ إليك طلباً للدعم المادي، مع أنها لم تفكر في ذلك حين طلبت منك الطلاق في البداية. لكن وبعد مرور عام كامل تخللته العديد من العمليات الجراحية، لا بدّ أن دفع أجور الأطباء أجبرها على تغيير موقفها».

- لم أعد راغباً في متابعة الحديث.

- بالطبع لا. لكن الإصرار على نكران الموضوع لن يجعله ينتهي أندرياس. لطالما كانت هادئة وصامتة، ولعله من الصعوبة بمكان أن تتحدث عن مرضها معك أنت.

كانت أولمبيا تفهم الأمور أكثر مما ظنها تفعل. لطالما كانت دومينيك متكتّمة وتصدّه عند الحديث عن أمور تتعلق بصحتها. كان يعتمد الحذر عند التكلم معها في هذا الموضوع لئلا تنطوي على نفسها. لكن تلك الايام ولّت.

رؤيتها مجدداً زعزعت كيانه. وحان الوقت ليستمع إلى مشاعره ويتصرف وفقاً لما تمليه عليه وإلا بلغ حزنه ذروته.

- سأغادر إلى أثينا.

ذكرته أولمبيا قائلة: «يمكنك البحث عنها لكنك لن تتمكن من إيجادها إن لم تشأ أن تدعك تجدها. لِمَ لا تبقى على متن اليخت هنا معي وتنتظر؟ ستعود حين تكون جاهزة لذلك. تعلم كم هي خجولة. لعلها تختبئ في مكان ما لتستجمع شجاعتها قبل أن تأتي إليك مجدداً وتفاتحك بالأمر».

صرّ أسنانه وقال: «لقد انتظرت بما يكفي».

لطالما ساندته أولمبيا، لكنه لم يكن قادراً على التفكير بوضوح حتى ولا التحدث. وبعد لحظة، اتصل بمايرون وأعلمه أنه يريد الذهاب إلى الشاطئ. وما أن أنزله المركب على اليابسة حتى اتصل ببول لكنه لم يتلق أي جواب. لعنه في نفسه ومضى باتجاه البلدة ليتناول فنجان قهوة بينما ينتظر.

ابتلع الرشفة الأخيرة قبل أن يرن هاتفه الخلوي فتحقق من الرقم المتصل وقال مزمجراً: «ما الذي حصل بحق السماء بول؟».

- لطالما كنت مستعداً لأن أفعل كل ما تطلبه أندرياس. لكنك هنا تطلب مني الكثير. إن كنت تريد طردي، فهيا افعل.

اشتدت قبضته على الهاتف وهو يسأل: «أين هي؟».

- لا أملك أدنى فكرة.

- هل بدت لك مريضة؟

- مريضة؟

سادت فترة صمت قبل أن يتابع: «كلا، لكنك تعلم كم أنها تتقن إخفاء أي أمر شخصي».

أخذ أندرياس نفساً عميقاً: «كان عليك أن تكتشف ما العمل الذي أرادت القيام به في أثينا».

- لست زوجها.

أرجع رأسه إلى للوراء وسأل: «كيف وصلت دومينيك إليك؟».

- بالطريقة التي وصلت بها إليك أنت ذاتها ربما.

سمع أندرياس صوت إقفال الخط وتسمّر في مكانه.

صمت بول حول موضوع دومينيك وعدم إدلائه بأي تعليق لطالما حيّر أندرياس. لقد شك منذ وقت طويل في أن صديقه وجدها زوجة غير مناسبة له بسبب فارق السنوات العشر بينهما وبسبب اختلاف جنسيتها، إلا أن تصرفاته الغريبة منذ ذهابه إلى سرابيفو تعارضت مع هذا الرأي. استعداد بول للمخاطرة بصداقتهما الطويلة أمر غير مسبوق.

ولو لم يكن يعرف صديقه جيداً لظن أنه يكنّ مشاعر ما سراً لدومينيك.

بينما هو يتخبط في مشاعره رأى الهليكوبتر تقترب فدفع ثمن فنجان القهوة وخرج إلى ضوء الشمس.

كان غاضباً منذ تحدث إلى أولمبيا وبالكاد لاحظ أن الهليكوبتر هبطت أمام مبنى الشركة في أثينا.

- هل أخبرتك السيدة ستاماتاكيس عما تنوي فعله هنا؟

- كلا يا سيدي، عليك أن تسأل السيد كريستوفولوس حول هذا الأمر.

- إن حصل واتصلت بك السيدة لأي سبب فأعلمني.

وبعد بضع دقائق كان أندرياس يتحدث إلى سائقه مجدداً: «خذني إلى الفيللا».

إن كانت أولمبيا محقة وقد لجأت دومينيك إلى هناك لاستجماع قواها قبل العودة لليخت فسوف يوفر عليها عناء القيام بالمهمة. سوف تتم المواجهة بينهما، وسوف يجبرها على التحدث عن القضية المؤلمة التي يتجنبان الحديث عنها منذ بداية علاقتهما.

٣ ــ سيأتي إليها!

تقع شركة أقمشة «بانوس» بالقرب من ساحة سينتاغما، حيث يقع أيضاً مبنى ستاماتاكيس. دفعت دومينيك لسائق الأجرة وهرعت إلى الداخل حيث استقبلتها المضيفة في الطابق السفلي بابتسامة. كانت على وشك أن تقابل زوج أولمبيا أو زوجها السابق.

- أود أن أقابل ثيو بانوس، إن كان موجوداً هنا.

- هل لديك موعد؟

- كلا، أودّ على الأقل التحدث إلى سكرتيرته.

- ما اسمك؟

- دومينيك ستاماتاكيس.

اتسعت عينا المرأة لمجرد سماعها الاسم قبل أن ترفع سماعة الهاتف وتجري حديثاً سريعاً باليونانية. وبعد لحظات، تمّ إرشاد دومينيك إلى الطابق العلوي.

حين خرجت من المصعد وجدت ثيو نفسه ينتظرها. كان شعره أسود كما أندرياس لكنه ليس بطوله أو بقوة عضلاته. وجدته جذاباً جداً بسرواله الأبيض وقميصه الأخضر فيما تأملها قليلاً بتعابير متوجمة قبل أن يقول: «هل خرجت الفراشة أخيراً من شرنقتها؟ تبدين جميلة جداً دومينيك».

- شكراً لك ثيو. أقدّر لك مقابلتي من دون موعد مسبق.

- لم يخطر لي يوماً أني سأراك مجدداً. تعالي إلى مكتبي لنتحدث على انفراد من دون أن يقاطعنا احد.

أجلسها في مقعد مريح قبالة مكتبه فقالت له: «مرّ وقت لم أتخيّل فيه أنّي سأعود إلى اليونان لأي سبب كان».

جلس في الكرسي قبل أن يقول: «حسناً، أخبريني لما دخلت أراضي العدو؟ هل يعرف زوجك أنك هنا في مكتبي؟».

- كلا، إنها فكرتي أنا وحدي.

استرخى ثيو في كرسيه وقال: «حسناً تابعي».

- أنا هنا لأستفهم عن وضعك أو وضع زواجك من أولمبيا.

لا بد أن سؤالها صدمه لأنه قطب جبينه: «ألا تعرفين؟».

هزت رأسها وردّت: «غادرت قاعة المحكمة بعد الإعلان عن القضية وذهبت مباشرة إلى المطار وحجزت على متن أول طائرة مغادرة إلى سراييفو. لم أعرف أبداً نتيجة المحاكمة ولا الحكم. لم أشأ معرفة أي شيء. ما أن عدت إلى أهلي حتى بدأ محاميّ العمل على أوراق الطلاق وأرسلها لأندرياس في مناسبات عدة لكنه لم يوقعها».

بدا غير مصدق وهو يقول: «رفض طوال تلك الفترة التوقيع على أوراق الطلاق؟».

- منذ يومين أرسل بول إلى سراييفو. يبدو أنه يريد أن يتحرر. فقررت العودة بالطائرة مع بول للقاء أندرياس قبل التوقيع على أيّ شيء وفوجئت بوجود أولمبيا على متن «سيغناس» ومعها طفل. لم تقدم أي تبريرات أو أعذار. في الواقع لم تقل شيئاً سوى أنها تتوقع عودة أندرياس قريباً من أثينا. لهذا السبب قررت المجيء إليك لمعرفة حقيقة الوضع.

مال إلى الأمام وقال: «هل تصدقينني بعد أن شوهت سمعة زوجك؟».

لم تكن مستعدة لسماع كلامه الشديد الصراحة.

- أجل لطالما آمنت بأننا كنا صديقين. وعلى الرغم من فظاعة ما

حدث وفضح الأمر علناً أعتقد أنك أحببت أولمبيا كثيراً وتعذبت لما حدث. أرجوك ثيو أخبرني ما الذي حصل؟

بانت الخطوط والتجاعيد واضحة على ملامحه وهو يقول: «لم أرَ أولمبيا منذ أشهر، لذا ليس لديّ أي فكرة. إن كنت تتكلمين عن المحاكمة فلم يعترف أي منهما بإقامة علاقة. قالت في شهادتها في المحكمة أنها كانت تتسوّق في «بالكا» وشعرت بتوعك. وبما اني كنت خارج البلاد، اتصلت بأندرياس الذي يملك شقة قريبة فدعاها إليها وطلب أن تنتظره. ما لا تعرفه هو أني كذبت بشأن وجودي خارج البلاد، ولحقت بها ذاك اليوم من دون أن تعلم وألقيت القبض عليها. كانت في سريره. سمع القاضي شهادتي ولم يصدق عذرها السخيف، فمنحني الطلاق».

جاء دور دومينيك لتصاب بالدهشة الآن. إن كانت أولمبيا مطلقة منذ عام فلماذا احتاج أندرياس كل هذا الوقت كي يقرر أنه يريد حريته؟

تأملت ملامحه الأرستقراطية وسألته: «وهل كانت أولمبيا حاملاً في ذلك الوقت؟».

- أجل.

استجمعت شجاعتها وسألت: «ابن من هو آري؟».

أجابها بشجاعة: «ابني. بعد ولادة الطفل أجرينا فحص الحمض النووي من وتأكدنا أنني الوالد».

اجتاح الاعتراف دومينيك وتركها تترنح من الشعور بالإرتياح. وعضت شفتها قبل أن تقول: «إن كان هذا صحيحاً، فهل من إمكانية بأن..».

أعلن بقوة كافية جعلتها تصدقه: «أبداً. لطالما أدركت في قرارة نفسي أن أولمبيا تزوجتني لأنها لم تستطع الحصول على أندرياس. بدا واضحاً منذ البداية أنها تكن له مشاعر عميقة. مع أنها كانت دوماً

تنكر أي علاقة معه إلّا أني لم أصدقها مطلقاً. وقد حصلت أخيراً على الإثبات».

لقد اعترف أندرياس أن ثيو وجدهما معاً، لكنه قال أيضاً: «ليس الأمر كما تظنين».

كافحت دومينيك لتأخذ نفساً. ماذا لوكان الامر ليس كما تظنه فعلاً وثمة تفسير آخر للأمور؟

تمتم قائلاً: «حاول زوجك الدفاع عن نفسه أمام المحكمة وقال إنها أصيبت بتسمم، لكني أعرف ماذا رأيت. لم تكن زوجتي تبدو أكثر صحة. وبما أن قصة حملها ظهرت أثناء المحاكمة ولم نستطع إثبات مسألة الأبوة إلا بعد ولادة الطفل، وقف القاضي في صفي ولم يمنح أولمبيا إلا مرتباً شهرياً متواضعاً في حكم الطلاق الأخير».

- أفهمك. ماذا عن أندرياس؟

- لم أطالبه بتعويض مالي. كان يكفيني أن أشوّه سمعته.

ارتعدت أوصال دومينيك. بدا عديم الرحمة لكن كان عليها أن تتذكر ما تعرّض له.

إن كانت قد توصلّت إلى استنتاجات خاطئة حيال ما قاله اندرياس عن عثور ثيو عليهما معاً في الشقة فيسعها أن تتخيل شعوره.

لا بد أن رؤية زوجته في سرير رجل آخر، لا سيما وأنّ ذاك الرجل صديق مقرّب دمرته. لا عجب في أنه شعر بالخيانة.

- لا ألومك إن كنت قد فكرت بالأسوأ، ثيو.

- شكراً لك دومينيك. واعلمي اني قدّرت شجاعتك عندما تخلّيت عن أندرياس. فبعد كل ما مررت به، وحالتك الصحية، أنت تستحقين أكثر من أن تستغلّي على هذا النحو.

- قالت أولمبيا إنها شجاعة منه أن يتزوجني أصلاً.

سيطرت على ملامحه إمارات دهشة وسألها: «شجاعة منه؟».

- هذا ما أخبرتني به أولمبيا؟

www.elromancia.com

- لقد كذبت عليك. فهي بارعة في الكذب.

زمجرت دومينيك منزعجة، فرمقها ثيو نظرة صريحة: «التعليق الوحيد الذي أدليت به هو أن أندرياس رجل محظوظ جداً للقائه بك».

صدقته دومينيك لسبب ما وشكرته على ما قاله، فأجاب: «على الرحب والسعة».

- لكن لا بد أنك ظننت أني صغيرة جداً لأكون زوجة جيدة؟

كانت المرة الأولى التي تلوح على وجهه طيف ابتسامة وهو يقول: «بل زوجة جميلة أشبه بطائر صغير معرّض للخطر ويحتاج للحماية».

هذا وصف مناسب لحالتها، إذ كانت أشبه بطائر صغير عصبي. كانت تشعر بخوف دائم من أن يزول اهتمام أندرياس بها، وبعدم الثقة بنفسها في ظلّ عالم معقد من الأصدقاء والأعمال كما كانت تحسّ بخوف دائم من مكانة أولمبيا في حياته، وتقلق من عودة مرض السرطان وتخاف من ألا تتمكن من إنجاب طفل له، وألا تعيش طويلاً لتكون زوجة صالحة. كانت اللائحة تطول وتطول.

- آسفة لأنك تعرضت لكل هذا الأذى ثيو. لا بد أن تنظيم الزيارات لرؤية الطفل أمر صعب.

هز رأسه وأجاب: «كلا، لقد تخلّيت عن حق الأبوة».

- ماذا قلت؟

- لا تخافي هكذا. بعد انتهاء المحاكمة أعلمتني أنه ما أن تطلقا أنت وأندرياس حتى يتزوجان وسيقوم أندرياس بتربية الولد.

لا عجب في أن شحب لون أولمبيا بعد أن رأت دومينيك في الغرفة وهي تحمل آري بين ذراعيها. إن كانت هي وأندرياس على وشك الزواج فآخر ما تريده هو أن تسبب لها دومينيك المشاكل.

- عشت سته أشهر أفترض أن الطفل من أندرياس. عندما ولد وتلقيت نتائج الحمض النووي وعلمت أنه ابني رأيت أن الابتعاد وترك

الأمور على حالها هو أفضل حل.

شعرت بالغرفة تدور بها للحظة وقالت: «هذا مأساوي! أنت شخص رائع. لا أستطيع أن أحتمل فكرة ألا يعرف الولد من هو والده».

نظر إليها بأسى وقال: «أندرياس هو والد آري منذ اليوم الذي أخذهما فيه هو وأمه من المستشفى ولست مستعداً لأن أمضي في الصراعات».

قالت وهي تبكي: «قد تندم على هذا القرار طوال حياتك».

- ربما. لكني آمل أن أتزوج مجدداً. سأختار هذه المرّة مخلوقة رقيقة مثلك تحبني وتنجب لي صبياً أو فتاة.

تأملها برهة وقال: «كان لأندرياس امرأة لم يعرف قيمتها، يا له من أحمق».

كان ثيو في حالة إنكار تام لمشاعره حيال أولمبيا وابنه. كانت دومينيك تشعر بمدى ألمه، فثمة خطب ما في الموضوع.

إن لم تتكلم مع اندرياس قريباً فستنفجر.

- شكراً لأنك أجبت عن أسئلتي ثيو. أتمنى لك كل الخير.

- أتمنى لك السعادة أيضاً.

نهضت عن الكرسي وشعرت بساقيها ترتجفان. وسارع يستدير حول المكتب ليمسك بمرفقها ويرافقها نحو المصعد.

- كم ستطول إقامتك في اليونان؟

- لست واثقة بعد.

ما تحتاجه هو الحديث إلى أندرياس على انفراد بعيداً عن أولمبيا.

- هل تقبلين دعوتي على العشاء الليلة في مطعم «زوربا»..؟

لقد تعلمت دومينيك منذ أيام المحاكمة أن تتجنب الظهور العلني الذي يسبب المشاكل. وإن رآها أحد الصحفيين معه فسيولد ذلك

www.elromancia.com

مشكلة لأندرياس.

لم يسعها إلا التساؤل عن مدى الأذى الذي ألحقته القضية بمصالح اندرياس فضلاً عن الأذى الشخصي.

وبعد لحظات من الصمت قال ثيو: «أنت نوع نادر من النساء دومينيك. لا أفهم لما عاملك أندرياس على هذا النحو. حظاً موفقاً عزيزتي».

انحنى وطبع قبلة على يدها.

آخر ما لاحظته هو لمحة الأسى والألم في عينيه قبل أن يغلق باب المصعد. وظل هذا المشهد يطاردها طيلة الطريق نحو المطار حيث أخذت هليكوبتر عائدة إلى زاكينثوس.

كان بإمكانها العودة إلى مبنى شركة أندرياس لكنها سبق أن لفتت الأنظار بظهورها في وقت سابق من النهار.

ما أن عادت إلى الفيلا حتى انهمكت «إيليني» في العمل على راحتها. وبينما كانت تسبح في البركة لتتخلص من غضبها وضعت مدبرة المنزل الطعام على الطاولة على الشرفة.

شعرت دومينيك بالتعب فخرجت من الماء ولفت شعرها بمنشفة صغيرة قبل أن تجلس في مقعدها.

كان التمرين قد أنهكها تماماً وفتح شهيتها فتناولت كل ما كان على المائدة. بينما كانت تنهي فنجان القهوة الثاني سمعت هدير محرك هليكوبتر يقترب، فأخذت دقات قلبها تتسارع بعنف.

هل هذا بول وقد أتى لزيارتها أم أن أندرياس كلفّه بمهمة أخرى أم أن زوجها قرر القيام بالمهمة بنفسه والتخلص منها قبل انقضاء الليل؟

لعله أحضر معه أولمبيا والطفل.

ومع أنها كانت شديدة القلق إلّا أنّ دومينيك أجبرت نفسها على البقاء جالسة إلى الطاولة. وذابت عندما لمحت أندرياس يقترب بملامحه الساحرة وقامته الطويلة المتناسقة وعضلاته المفتولة. كان

يرتدي سروالاً عاجي اللون وسترة رياضية بيضاء.

كان يتمتع بأجمل بشرة سمراء رأتها يوماً. حدقت في العينين السوداوين والشعر القليل التموّج وهي تفكر في أنه اختار يوماً الزواج منها في حين كان يمكن له الزواج من أي امرأة أخرى.

إن كان قد أحضر أولمبيا معه فهي لا تراها.

اقترب من الطاولة وقبض بأصابعه السمراء على ظهر الكرسي المقابل لها ثم سألها: «إلى أين ذهبت اليوم تحديداً؟».

- كنت بحاجة لزيارة أحدهم.

- لكنك لم تخبري بول عن وجهتك؟

- لم يكن ذلك من شأنه.

اشتعلت عيناه غضباً: «هل هو شخص أعرفه؟».

- وهل يعنيك الأمر كثيراً؟

صرخ فيها ما جعلها تجفل:

- هل ذهبت لزيارة الطبيب؟

صرخت وقد أذهلها السؤال: «كلا..».

- لا تكذبي عليّ.

- أنا لا أكذب، أجريت فحصاً في نيويورك قبل القدوم إلى اليونان. وإن كنت لا تصدقني، فيمكنك الاتصال بالدكتور «كانفيلد»..

استطاعت أن تلاحظ أنه مستغرق في التفكير: «إن كان هذا صحيحاً، فثمة شخص وحيد يمكن أن تكوني قد زرته. ذلك الشخص هو ثيو، أليس كذلك؟».

احمرّت وجنتا دومينيك.

هزّ رأسه وقال: «أستطيع أن أرى من ملامحك أني محق. أتدركين ما الذي فعلته؟».

- ما الرهيب في الأمر؟ قررت التحدث إلى الشخص الوحيد الذي

www.elromancia.com

يستطيع أن يقدم لي الإجابات.

- ذهبت إلى ألدّ أعدائي بدلاً من المجيء إليّ.

قامت بحركة تدل على غضب: «حقاً اندرياس. بما أنك أخبرتني بوضوح الليلة الماضية أنه الوداع الأخير بيننا، لم تترك لي خيار سوى الذهاب إلى الشخص الوحيد الذي يعرف ماذا جرى في المحكمة».

- أرسل إليك محاميّ الأوراق كلها.

- أعلم، لكنني لم أتمكن من قراءتها يوماً.

أطلق شتيمة وضغط براحة على جبينه. حدقت فيه لكنها أدركت فجأة أن المنشفة لا تزال تلف شعرها فنزعتها بسرعة.

جالت عيناه اللامعتان غضباً على شعرها الرطب الذي لم تأبه لتسويته وقال: «لكنك قررت أن تصدقي كل كلمة يقولها لك ثيو بدلاً من المجيء إليّ، أنا زوجك؟».

كان غاضباً جداً.

رفعت كتفيها وقالت: «بوجود أولمبيا والطفل على اليخت، لم تبد لي سيغناس المكان المناسب للتحدّث إليك على انفراد».

شتم مجدداً وأخذ يذرع أرض الشرفة: «وهل أخبرك أن الطفل من لحمي ودمي؟».

- في الواقع لم يفعل.

تسمّر أندرياس في مكانه وحدّق فيها طويلاً: «وهل صدقت ذلك؟».

- أجل.

- لكن حين طلبت منك أن تثقي بي لم تفعلي.

كانت عيناه غائمتين بما يشبه سماء الخريف. وجلست دومينيك في مكانها تحدق فيه يائسة.

لقد مضى عام كامل وكانت تحبه بجنون. ومع ذلك، ها هما الآن وأحدهما يكاد يخنق الآخر. استجمعت قوتها مجدداً لتتمكن من

الكلام، وقالت: «كان ذلك منذ وقت بعيد جداً».

- أجل بعيد بحيث عدت مباشرة إليه وليس إليّ.

تنهدت مجدداً. راح الحديث بينهما يتخذ شيئاً فشيئاً طابع الصراع، وهذا آخر ما أرادت حصوله.

كافحت مجدداً لتنفس قبل أن تجيب: «قلت لي على اليخت إنك لا تريد رؤيتي مجدداً فسلكت الطريق الوحيد المفتوح أمامي».

أطلق تنهيدة غاضبة أرسلت القشعريرة في أوصالها وقال بغضب: «وها أنت الآن تفترضين أنك تعرفين الحقيقة».

وضعت يدها على حنجرتها: «أرجوك أندرياس هل يمكن أن نكف عن الحديث عن ثيو للحظة؟ ثمة أمر أود أن أطلبه منك».

اكفهر وجهه: «أعرف ما هو. لست مضطرة لأن تتوسلي إليّ كي أدفع نفقات الاستشفاء. ألا تدركين أني لن أتركك معوزة؟».

ما الذي يتحدث عنه؟

- اعترفي أن هذا ما أردت ذكره في أوراق الطلاق قبل أن توافقي على التوقيع عليها؟ ما لا أفهمه هو لما لم تخبريني بالأمر من قبل، الليلة الماضية؟ كان بإمكان بول أن يعيد صياغتها فوراً؟

نشبت أظافرها في راحتي يديها: «لست هنا لأني أريد منك أن تدفع نفقات علاجي! كيف خطر لك هذا اندرياس؟ لقد سدّد التأمين كافة الفواتير وسيفعل هذا دوماً».

سيطر عليه الهدوء قبل أن يقول: «ما الأمر الذي فاتني إذاً؟».

تلعثمت: «حين ظهر بول في مكتب القنصلية أدركت أنك أصبحت مستعداً لمنحي الطلاق. فهل هذا يعني أنك ستتزوج أولمبيا؟».

تصلّبت عضلات فكيّه: «إن قلت لك نعم، فهل هذا يعني أنك ستجعلني أنتظر بقدر ما جعلتك تنتظرين لكي تمنحيني حريتي؟».

صرخت بوجهه: «إنه سؤال ظالم..».

أجابها برضا عن النفس: «أنت علمتني معنى هذه الكلمة».

www.elromancia.com

- أندرياس.

حاولت التوسل إليه لكن نظرة الغضب على وجهه منعتها من إضافة أي كلمة أخرى.

رفع أحد حاجبيه السوداوين باستفزاز: «لِمَ عرض المشاعر الآن؟ منذ عام واحد فقط تخليت عني من دون تردد».

دفعتها كبرياؤها لأن تهمس: «لن أقف في طريقك طبعاً».

اشتدت عضلات فكيه: «سأجلب الأوراق إذن».

واستدار ليخرج من الفيللا.

- انتظر...

استدار أندرياس نحوها وسأل بنبرة حانقة: «ما الأمر الآن؟».

- سأوقع الأوراق لكني كنت أوّد لو نتحدث قليلاً أولاً.

- أليس هذا ما كنا نفعله؟

أحرقتها كلماته كما لو أنه رماها بكرة من نار.

- أرجوك أندرياس، لقد قطعت كل هذه المسافة لأراك.

- اتصال واحد كان كافياً نظراً للظروف الراهنة.

مزقها تصرفه اللامبالي لكنها ظلت مصرّة على موقفها: «الأمر مهم حين يتعلق بزواجنا».

سخر منها: «مهم؟ أتجرؤين على استعمال هذه الكلمة أمامي في حين أنك ضيعت عاماً كاملاً ثميناً من حياتنا تطلبين فيه أن أمنحك الطلاق؟».

- أعلم ما فعلت لكن لدي أسبابي. لو تسمعني فقط، أود أن...

قاطعها بعنف: «ما الذي تريدينه حقاً؟».

هذا هو السؤال الذي تنتظر.

أبعدت شعرها عن وجهها وقالت: «أوّد أن نعيش معاً لشهر كامل، لنرى إن كان بإمكان الواحد إيجاد طريقه إلى الآخر مجدداً».

ساد الصمت طويلاً وراح يحدق فيها وكأنه لا يصدّق ما سمعه

لتوه. كانت نظراته تخترق كل جسمها إلى أن ارتعشت.

تمتمت بصوت متألم: «من الواضح أنك تجد الفكرة غريبة».

أطلق شتيمة أخرى همساً لكن هذا لم يزدها إلا إصراراً.

- لا أظن أن ثلاثين يوماً من حياتنا طلب كبير. إن لم تنجح الأمور بيننا فأمامنا حياة كاملة ليذهب كل واحد منا في طريقه.

أجاب بسرعة جعلتها غير قادرة على تصديق كلامه: «ليس إن جعلتك تحملين مني؟ هل تخشين أن يعاودك المرض قبل أن تتمكني من الحصول على طفل؟ أهذا كل ما في الأمر؟ شهر واحد تحاولين فيه أن تصبحي أماً؟».

صرخت في وجهه بألم: «أندرياس؟ ليس هذا ما أريده طبعاً!».

أخذ نفساً عميقاً مصدراً صوتاً أشبه بتمزق الحرير.

- وحتى لو أنّ هذا ما أريده، فأنا لا أعلم إذا ما كنت أستطيع الإنجاب. فالوزن الزائد ليس ضمانة كافية سيما بعد صراعي مع السرطان.

مرّر يده في شعره فشعثه: «الثقة بيننا انكسرت دومينيك».

اغرورقت عيناها بالدموع: «لهذا السبب أود المحاولة من جديد. يمكننا الإدعاء أن لا ماضٍ بيننا وأنها المرة الأولى لنا معاً».

كانت نبرة صوته مثقلة بالسخرية التي مزقت أوصالها وهو يقول: «أتعنين أن نمحو النقطة السوداء من سجلك؟».

- أجل.

- هذا ليس ممكناً.

رفعت ذقنها بتحدّ: «أعترف أن الأمر يمثّل تحدّياً، لكني لا اعرفك شخصاً يتراجع أمام التحديات».

التمعت عيناه بشكل شرير: «حين مررنا بأول امتحان صعب هربت وتخليت عن زواجك. وستخضعين لإمتحان آخر».

- أنت لا تتكلم عن أولمبيا، أليس كذلك؟

www.elromancia.com

عادت ملامح وجهه إلى غموضها. لِمَ يحاول إنكار الأمر؟ كانت تلك صفعة أخرى قوية لكنها رفضت أن تظهر له مدى تأثرها.

- لطالما عرفت مشاعرك نحوها ومشاعرها نحوك. إنها من الثوابت في حياتك. كل ما أطلبه هو أن تبقى بعيداً عنها لشهر لنرى إن كنا نستطيع إعادة إشعال شرارة حبنا. لكن إن كنت أطلب الكثير، فأخبرني الآن. لا يد واحدة تصفّق.

- نعم، فعلاً.

- ما الذي تقصده؟.

أجابها على مضض: «إن كنت قد نسيت، ثمة أمور أخرى حصلت أثناء فترة زواجنا القصيرة. أنا أجري الآن مفاوضات مهمة جداً تتطلب مني تمضية الكثير من الوقت في أثينا هذا الشهر».

- ما يعني أن وجودي سيحرجك، كما كان يفعل من قبل.

- هل قلت هذا يوماً؟

- لم تكن مضطراً لقوله. فالبقاء في المكتب حتى وقت متأخر من الليل، وفترات الصمت الطويلة تكفّلت بالأمر.

رمقها أندرياس نظرة حادة: «إن كنت أتذكر جيداً، أنت لم تحبي العيش في أثينا ولطالما فضلت البقاء في زاكينثوس بعيداً عن الأنظار، ما جعل بقاءنا معاً أمراً صعباً».

- هذا صحيح. لم أرغب في البقاء في المدينة حيث أتشارك زوجي مع الكثير من الناس. كنت مجنونة بحبك لدرجة أنستني أن لديك أمبراطورية تديرها. كان ذلك سذاجة مني، أعرف. الحقيقة هي أن شهر عسلنا كان رائعاً بحيث تمنيت أن يدوم إلى الأبد.

زمجر بعاطفة هائلة: «أتظنين أني لم أتمنَ ذلك أيضاً؟».

إنه السؤال الذي عادت دومينيك إلى اليونان لتطرحه. أخذت نفساً عميقاً تستمد منه القوّة.

- لقد تزوجت من فتاة خجولة يافعة لم تفكر إلا في رغباتها.

أخشى أني سرت على خطى الفتيات اليافعات المتزوجات حديثاً.

تصلبت ملامحه وهو يقول: «وهل أصبحت ناضجة الآن بعد أن بلغت الثالثة والعشرين مما يجعلك مختلفة تماماً؟».

السخرية الغاضبة المتدفقة من كلامه هددت بتدميرها إن سمحت لها بذلك.

- هذا أمر متروك لنا لنكتشفه... إن كنت تريد. هل تريد أربعاً وعشرين ساعة لتفكر في الأمر؟

افتغر ثغره عن ابتسامة غريبة فيما ظلت نظرة عينيه جليدية: «هل تمنحين نفسك فرصة للهرب مجدداً؟».

عندما طرح السؤال أدركت انها لم تؤثر فيه البتة. إنّ الضرر الذي ألحقته به كبير إذ تركته منذ عام يواجه متهميه وحده. لا شك أن وسائل الإعلام انقضت عليه كالذئاب وقطعته إرباً.

- لا أحتاج مهرباً وإلا لما غادرت سرايفو وأتيت بحثاً عنك.

نهضت دومينيك عن الكرسي وحدقت فيه بجرأة: «لقد طلبت الطلاق وسأمنحك إياه. أخبر قائد المروحية أن يحضر إلى هنا في الصباح. وبعد أن أوقع الاوراق أعدك بأن أخرج من حياتك إلى الأبد».

شعرت بعينيه تخترقان جسمها الذي لا تغطيه إلا ملابس السباحة وهي تغادر الشرفة. وبدلاً من أن تسرع الخطى وتهرب، مشت بثقة تشد كتفيها إلى الوراء وتشعر بالسرور في سرها لأنه يتأملها.

حين ترحل غداً ستظل تشعر بالرضا عن الصورة الأخيرة التي تركتها لديه.

كانت قد وصلت إلى باب الغرفة الزرقاء حين سمعته يقول: «لقد أخطأت الغرفة».

لم تكن دومينيك تدرك أنه يتبعها فاستدارت مذهولة تماماً.

حدّق فيها بعينين جائعتين: «الغرفة الرئيسية تقع عند الطرف الآخر

من الرواق».

شعرت برئتيها تفرغان من الهواء.

لم تصدق أنه أعلن لتوّه أن تجربة الثلاثين يوماً ستبدأ الليلة.

كان قلبها يدق بعنف بحيث خشيت أن يسمع ضرباته وأجبرت نفسها أن تحافظ على هدوئها الخارجي وقالت: «سأحضر أغراضي من غرفة الضيوف».

بالكاد أومأ لها أندرياس قبل أن يقول: «بينما تفعلين ذلك، سأجري بعض الاتصالات الهاتفية قبل الانضمام إليك».

أجابت بصوت خافت: «حسناً، أراك في غضون بضع دقائق إذاً».

- دومينيك...؟

مجرّد تلفّظه باسمها بتلك النبرة الرجولية جعلها ترتجف: «ماذا؟».

كانت نظراته حادّة: «إني أحذرك، لن أمنحك أكثر من يوم واحد قبل أن ينهار كل شيء بيننا مجدداً».

كانت دومينيك غير الواثقة من نفسها على وشك أن تظهر مجدداً وتلتهم الطعم مثبتة وجهة نظره.

- لأكون صادقة معك أندرياس ظننت أنك سترميني خارج الجزيرة.

راقبته يصرّ بأسنانه قبل أن يختفي في الجهة الأخرى من الفيلا. السبب الوحيد الذي دفعه للموافقة هو أنه يظن في قرارة نفسه أنه لن يضطر لتحملها طويلاً.

لكن تسليم أندرياس بالصلح أزال عقبة هائلة من طريق دومنيك التي أخذت تهرع في أرجاء الغرفة تجمع أغراضها وهي تشعر بالنشوة لموافقته على الصلح المؤقت.

ومن دون أن تضيّع أي دقيقة أسرعت نحو الغرفة الواسعة البيضاء. كانت تحب نوافذ هذه الغرفة المقببة التي تطل على البحر.

مضى وقت طويل منذ أن مشت في هذا المكان وتنشقت رائحة

أزهار الياسمين المنبعثة من الخارج بينما هي تنتظر بشغف أن يضمها بين ذراعيه.

وقبل أن تفعل شيئاً توجهت إلى الحمام الملاصق لتغسل شعرها، ثم لفته بمنشفة بدلاً من تجفيفه. وما أن سرحت خصلاته اللامعة ورتبته حتى دخلت الغرفة مجدداً.

لقد كانت بين ذراعي زوجها مرّات عديدة في هذه الغرفة تحديداً لكن هذه الليلة تختلف عن سواها.

وفتشت في حقيبة يدها عن خاتم الزواج ثم وضعته في إصبعها.

لم تضعه في إصبعها منذ أن غادرت اليونان، وقد كانت تشعر بأنها عارية من دونه.

تعمّدت ترك النور مضاءً، وانسلت تحت الأغطية.

لطالما أصرّت على أن تكون الأضواء مطفأة، بحيث لا يرى الندب. تحت غطاء العتمة كان بإمكانها الإدعاء بأنها مغرية.

لطالما كان أندرياس متفهماً ورقيقاً معها. لم يجبرها يوماً على القيام بأي شيء يزعجها. لكن ليلة زواجهما حين لامست شفتاه الندب طلبت منه ألا يفعل ذلك مجدداً وقد احترم رغباتها.

أخبرتها أولمبيا قبل زواجها أن ثيو قال لها إنه يجد أندرياس شجاعاً لزواجه منها. وبعد لقائها بثيو اليوم عرفت أن أولمبيا كذبت وفهمت دوافعها. لكن قبل عام، دمرّت هذه الملاحظة نفسية دومينيك المريضة. دمرتها من الأعماق بحيث أنها لم تأخذ يوماً المبادرةلممارسة الحب مع زوجها. ولطالما كان هو من يأتي إليها.

تمكنت دومينيك في البداية من إقناع نفسها بأنه يأتي إليها بدافع الحاجة. وحين كان يغط في نوم عميق كانت الدموع الحارقة تنسكب على وسادتها ظناً منها أنه مارس الحب معها بداعي الشفقة.

بعد أن تركت أندرياس أمضت شهوراً طوال تتعافى من مشكلتها النفسية وتتفهم مشاعر النقص التي تنتابها وتدرك الأسباب التي جعلتها

تترك زوجها. اكتشفت خلال تلك الجلسات القاسية لما صدقت كلام أولمبيا وتعليقات الآخرين التي كانت قاسية، عديمة الإحساس.

ما أن واجهت مخاوفها حتى خضعت لعلاج على المستوى العاطفي سمح لها أن تتخذ خيارات مناسبة.

أحد تلك الخيارات هو أن تعالج نفسها لتعود المرأة الجذابة التي كانت يوماً قبل أن تكتشف إصابتها بالسرطان بدلاً من أن تنعزل وتنطوي على نفسها. كان عليها اتخاذ قرار لخضوع لعملية تجميل وهو قرار يشير إلى أنها شخص مسؤول عن سعادته فما من أحد يمكن أن يقوم بهذا الخيار بدلاً منها.

ما أن فهمت هذا المبدأ حتى تحررت من عقدتها وما عادت تخشى الخضوع للجراحة. كانت تلك خطوة ضرورية على طريق الشفاء النفسي والعاطفي، والنتيجة أنها عادت تشعر أنها أنثى مجدداً.

إن عاد مرض السرطان للظهور مجدداً واضطرت لاستئصال الثدي الآخر فليكن. لن تسمح بعد اليوم لأي حدث أو شخص أن يشوّه صورتها عن نفسها. ولأول مرّة في حياتها لم تخشَ أن تكون مع أندرياس. لم يعد هناك من محرّمات. كانت متلهفة للقائه سواء في حالة حب أو حرب أو أي وضع آخر.

إن كان غير مخلص لها في قلبه فهي بحاجة لسماع تلك الكلمات منه شخصياً قبل أن تقرّر الخطوة التالية. لكنها تحتاج أولاً لأن تكسب ثقته مجدداً. وإن لم يحصل ذلك، فليس أمام زواجهما أي فرصة للنجاة.

انقلبت على جانبها وانتظرته حتى يأتي إليها.

٤ ــ امرأة جديدة

أنهى أندرياس جولات طويلة من السباحة في البركة قبل أن يخرج ويتصل بأولمبيا.

- كنت أنتظر اتصالك. هل وجدت دومينيك؟

على الرغم من اهتمام أولمبيا وقلقها إلاّ أنه لم يكن يرغب في مناقشة مسألة دومينيك معها.

- أجل.

- أفترض أن الأمور توضّحت وأنها في طريق العودة إلى البوستة! كل النظريات التي وضعتها عن حاجة دومينيك للمال طارت في مهب الرياح كما زعزع طلبها كيانه.

قبل أن ينضم إلى زوجته التي تشعر بالوحشة في سريرها الذي لم تنم فيه لأشهر لا يعرف عددها، كان أندرياس بحاجة لأن يقوم ببعض التمارين الرياضية ليوضح أفكاره.

دفع بخصلات شعره إلى الوراء وقال: «أولمبيا..».

- عندما تقول اسمي بهذه الطريقة أعلم أن ثمة خطب ما. ما الأمر؟

- لن أتمكن من تمضية الوقت معك ومع آري لفترة. لكن اليخت ملك لك لتستمتعي به قدر ما تشائين. يمكنك أن تأتي إلى الفيلا في زاكينثوس ساعة تشائين أيضاً. أطلبي من بول ما تريدين.

- هذا سخاء منك أندرياس. أفترض أن ثمة مشكلة ما في العمل؟

- كلا، الأمر شخصي.

- أفهم. كم من الوقت تحتاج قبل أن تنضم إلينا مجدداً؟
- لست واثقاً، الشهر المقبل ربما.
- الشهر المقبل؟ ماذا حصل؟
لقد عادت دومينيك إلى حياته، هذا ما حصل تحديداً.
- سأحاول إنقاذ زواجي.
بعد فترة من الصمت سألته: «هل هي مريضة مجدداً؟ هل تحتاج دعمك؟».
قطب حاجبيه وأجاب: «إن كانت كذلك فسأتعامل مع الوضع».
- أكره أن أفكر في أنك ستأذى مجدداً.
قطب مجدداً: «إنها مشكلتي».
- سيفتقدك «آري» كثيراً.
- سأخصص وقتاً لرؤيته. تصبحين على خير أولمبيا.
ارتدى سرواله قبل أن يحمل بقية ملابسه ويذهب إلى غرفة النوم.
لم يكن شيء ليذهله أكثر من اكتشافه دومينيك مستلقية في السرير وهي لا تزال صاحية والنور مضاء. استطاع أن يلاحظ أنها تضع خاتم الزواج الذي أعطاها إياه.
أخذ قلبه يطرق بقوة في صدره.
بدا صوتها مبحوحاً وهي تقول: «كنت أخشى ألا تأتي».
كانت تلك الكلمات بداية جديدة أيضاً. لم تعترف مرّة أثناء فترة زواجهما أنها متلهفة إليه ولا حتى بعينيها. تحت جناح الظلمة فقط كان يضمها بين ذراعيه ويقرّبها منه.
الليلة كانت الأمور مختلفة.
كانت عيناها الجميلتان تشعان في الضوء الخافت وقد بدا فمها منحوتاً وبشرتها البيضاء يعلوها لون زهري طفيف وشعرها الذهبي منثوراً على الوسادة. لم يسبق له أن رأى امرأة بهذا الجمال.
عذبته فكرة إمكانية ظهور السرطان مجدداً.

قال لها قبل أن يدخل إلى الحمام: «لن أتأخر».
رؤيته لها جعلت جسمه يرتعش. وشعر بساقيه ثقيلتين وهو يغادر الغرفة. بالكاد كان يعي ما يحيط به من أغراض مادية.
لعله يعيش حلماً!
كان يخشى أن يصحو من الحلم ويجد نفسه وحيداً، فأنهى حمامه بسرعة قياسية. كان شعره لا يزال مبللاً لأنه لم يجففه جيداً حين عاد إلى الغرفة وهو يحبس أنفاسه.
رأى أن الابتسامة المغرية لا تزال ترتسم على شفتيها فتنفس الصعداء. لم يلمح أي أثر للتردد في تعابيرها بل حماسة مشرقة.
إن كانت هذه مجرد واجهة تثبت من خلالها أنها تغيرت، فقد نجحت في ذلك تماماً. واكتشف أندرياس أنها المرة الأولى التي يشعر فيها بالتوتر.
وعندما مدّ يده ليطفئ النور قالت برقة: «كلا، لا تفعل، أريد أن أراك».
كلماتها أوقفت حركته وكادت تسبب له ذبحة قلبية.
- حين استيقظت بعد الحادث ورأيتك تحدّق فيّ فكّرت في أنك الرجل الأكثر وسامة الذي رأيته في حياتي.
شعر أندرياس بغصة في حلقه.
- لم أعرف رجلاً آخر يشبهك. تعمدت عدم التحديق فيك، حتى بعد زواجنا كنت أخشى أن أنظر إليك طويلاً لأني لم أرغب في أن تفكر في أني... أتوسل إليك.
هز رأسه: «لو كنت بحاجة للتوسل لما أتيت إليك أصلاً».
ارتعشت شفتها السفلى: «أردت أن... أصدق ذلك. لكن كلما نظرت في المرآة، كنت أرغب في الموت، لأني لا أرضي أي رجل لاسيما زوجي».
جلس أندرياس مذهولاً على حافة السرير يسأل: «وكيف تشرحين

انجذابي نحوك؟».

حدقت في عينيه بعمق تعترف: «أنت تتمتع بطيبة فطرية يا أندرياس، تسري في عروقك. لقد شهدت الحادث الذي أفقدني الوعي ورأيت الندب. أعلم كم تقدّر الشجاعة وأدركت أنك اعتبرتني بطلة نوعاً ما لأني واجهت السرطان».

أخذ نفساً عميقاً عنيفاً: «وقد استنتجت من ذلك أني أشعر بالأسف حيالك بسبب كل ما عانيته ولهذا طلبت منك الزواج؟».

- ليس هذا وحسب. كنت أعلم أنك تعيش فترة حداد بسبب موت ماريس، فأنتما مقربان جداً من بعضكما البعض. وكانت حياة والديك على حافة الانهيار. أظن أن شعورك بالعجز واليأس مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببقائك معي، وكأني أحد أولئك الأولاد الذين يوشكون على الموت وتتحقق لهم آخر رغباتهم. كنت مقتنعة بأنك تعتبرني شخصاً يحتاج المساعدة فقط.

أطلق شتيمة بصوت منخفض.

- في وقت سابق من هذا اليوم أخبرني ثيو أني ذكرته بطائر جريح يحتاج للحماية حين رآني للمرة الأولى.

لتحلّ اللعنة على ثيو.

وقف أندرياس وأخذ يذرع الغرفة، لم يتمكن من أن يصدق ما يسمع.

- إن كان هذا تصوّرك للأمور، فأظن أنّ دوام زواجنا إلى ذاك الحدّ معجزة.

تمتمت تقول: «أوافقك الرأي. هذا من الأمور التي تعلمتها العام الماضي. حتى لو كان تفكيرك مختلفاً إلاّ أن تلك كانت حقيقتي حينذاك.

تسمّر مكانه وسألها: «ما الذي تقولينه؟».

أطلقت تنهيدة معذبة: «عليّ اكتشاف حقيقة حياتنا معاً. وهذا يعني

البدء من الصفر، لكنني مستعدة للقيام بأي شيء لجعل زواجنا ينجح إن كنت تريد هذا أيضاً».

وصرخت قبل أن يتمكن من الإجابة: «لا تسئ فهمي رجاءً. قبل أن تخبرني مجدداً أن لا فائدة من الأمر، دعني أعترف لك أني الشخص الملام في كل ما حصل من مشاكل. كلما حاولت مصارحتي انطويت على نفسي. لا عجب في أنك اضطررت لتوخي الحذر معي. أنت رجل صبور جداً وقد استغللت هذه الصفة المميزة فيك ومضيت في التصرّف كطفل مدلّل صعب المراس. كلما كنت تتصرف بلباقة ولطف معي كلما أسأت التصرف. لا فكرة لديك كم كنت أمقت نفسي لذلك. حين أخبرتني أن ثيو يتهمك بالزنا أردت أن أخبره أن الذنب ذنبي وأنه إن أراد الانتقام فعليه أن ينتقم مني أنا، فأنا المذنب الحقيقي. لكني هربت بدلاً من ذلك لأني كنت جبانة. لكني خضعت طوال العام الماضي لعلاج نفسي لأفهم نفسي و..».

- علاج؟

- أجل. لا تقل إن كلامي صدمك لاسيما أن كلينا يعلم كم كنت بحاجة لمثل هذا العلاج.

كانت نبرة صوته خشنة: «لست مصدوماً».

عضت شفتها وقالت: «متفاجئ إذاً».

- إن كان من أمر فاجأني فهو أنك أجبرت نفسك على المرور بهذه التجربة لاسيما وأنت تخضعين أيضاً لعمليات جراحية.

لقد حرمته طوال عام كامل من أن يقف إلى جانبها.

- من دون هذا العلاج ما كنت لاتخاذ قرار إجراء عملية تجميل. أظن أن الطبيب قام بعمل رائع. قال إن زوجي فقط سيعلم حقيقة الأمر.

شعر بالخشوع أمام روح النكتة لديها ودفعته شجاعتها للبكاء.

- دومينيك...

- أظن أن الكلام خان زوجي. أتساءل ما إذا كان هذا مؤشراً

www.elromancia.com

جيداً أم سيئاً.

افتر ثغرها عن ابتسامة أظهرت غمازة على خدّها الأيسر لم يرها منذ سنة.

رفعت ذراعيها الجميلتين قائلة له: «تعال إلى السرير. إني انتظر هذه اللحظة منذ زمن طويل جداً».

شعر بقلبه يقفز من صدره.

تمدّد على الفراش بجانب عروس بحر جعلتها أعجوبة ما زوجته وقال لها: «أريد أن أراك أولاً».

طوقت عنقه بذراعيها وقالت بشكل مغيظ: «لدينا عام كامل نعوّضه وقد يستلزم ذلك الليل بطوله».

ضمها أندرياس فضحكت بشكل مثير قبل أن ينظر كل واحد منهما في عينيّ الآخر من دون خوف.

كانت ليلة لا تنسى...

استقامت دومينيك مع الفجر ينتابها شعور جميل، لم تعرف مثله في حياتها. مدّت ذراعها تبحث عن الرجل الذي أمتعها الليلة الماضية، ولما لم تجده جلست في السرير وأزاحت خصلات الشعر عن وجهها.

عبر النافذة التي تطل على البحر لمحت طيفه.

نزلت عن السرير وأخرجت أحد قمصانه من الدرج ولبسته.

اجتازت الغرفة بهدوء وطوقت وسطه من الخلف قبل أن تقول همساً: «صباح الخير».

وقفت على رؤوس أصابعها تقبّل رقبته حيث تتماوج خصلات شعره الذي تعشقه كثيراً بكثافته ولمعانه. كانت تعشقه كله.

تمتمت وهي تعتصره بقوة: «رائحتك لذيذة. ولو كنت سأعطيها اسماً تجارياً لأسميتها أندرياس».

لم تكن تعلم أي ردّ فعل تتوقع منه لكنها حكماً لم تتوقّع أن يلتفت

إليها بملامح وجه متجهمة.

قبّل راحتيها قبل أن يدفعها عنه ويقول: «آسف لأني أيقظتك».

الأمر الأهم الذي تعلمته أثناء خضوعها للعلاج هو أن تكون صريحة ومباشرة بحيث لا تفتح المجال أمام أيّ سوء فهم بينهما.

- لم تفعل. لقد استيقظت متشوقة لأن أطوّق زوجي بذراعيّ، لكنك لم تكن في السرير. من الواضح أن ثمة ما يدور في رأسك. دعنا نتحدث في الأمر.

- ليس الآن.

أصرّت: «بل الآن».

خطوط القلق كانت واضحة على وجهه.

- هكذا بدأت الأمور تسوء بيننا في المرة الأولى أندرياس. كنت أختبئ وأتجنب الحديث... وأهرب. وكنت أنت تتراجع وتصمت عن الكلام. لا يمكننا أن نفعل هذا مجدداً. قل لي ما الذي يسبب لك القلق، حتى لو كنت تخاف أن يسبب ذلك المشاكل.

كان الضوء يزداد إشراقاً في الخارج. واستطاعت أن ترى تصلب فكيّه والظلال تحت عينيه.

- أخبرتني أنك زرت الطبيب قبل قدومك إلى اليونان.

- هذا صحيح.

كان التوتر يسيطر عليه تماماً: «أفترض أنك تقصدين الطبيبة «كانفيلد»، جراحة التجميل؟».

- أجل. وقد أكدت لي أن صحتي جيدة.

أخذ يفرك عنقه في حركة لطالما دلت على إحباطه وغضبه: «ماذا عن إخصائي السرطان؟».

- رأيت الطبيب «جوزفنسون» أيضاً. وأنا الآن بخير.

ضاقت عيناه: «لن تكذبي عليّ..».

من الواضح أن التغيير الذي طرأ عليها أيقظ بعض المخاوف التي

كان يحتفظ بها حتى الآن.

- ولِمَ قد أفعل ذلك؟ ما الهدف وراء قيامي بهذا الأمر؟ عليّ كما تعلم الخضوع للمعاينة مرّة واحدة في الشهر. من الآن وصاعداً سنقصد الطبيب معاً ونسمع ما سيقوله لنا.

أخذ أندرياس نفساً عميقاً: «وهل يقترح الطبيب «جوزفينسون» أن تستأصلي الثدي الآخر كتدبير وقائي؟».

هزت رأسها متعجبة: «كلا. لا يعتقد ذلك ضرورياً في حالتي».

زمّ أندرياس شفتيه: «ربما يجب الحصول على رأي ثان في الموضوع».

قالت ترغب في إرضائه بكافة الطرق: «سنفعل».

إلا أن القلق لم يختفِ عن وجهه. فسألته: «ما الأمر الآخر الذي يقلقك؟».

- لطالما اتخذت كافة الاحتياطات قبل انفصالنا.

- صحيح... وما الذي حدث الليلة الماضية؟

أمسك بكتفيها فجأة وقال: «تعلمين ما الذي حصل... لقد فقدت السيطرة».

كان يزمجر غاضباً من نفسه، لكنها ضحكت وقالت: «تخيّل أن «أندرياس ستاماتاكيس» من بين كل الرجال يقوم بعمل لا مسؤول كهذا. أظن أني سأعتبر هذا إطراء سمعته طوال حياتي وهو أني استطعت أن أؤثر فيك الليلة الماضية».

أخذ يهزها غير مدرك مدى قوته: «أنا لا أفرح دومينيك. ماذا لو حملت؟».

كانت حزينة وهي تقول: «إن كنت مقتنعاً بأن زواجنا لن يدوم فأنا أتفهم قلقك».

تمتم: «ليس هذا ما أقصده وتعلمين ذلك. أنا قلق بشأن صحتك».

- تحدّثنا في هذا الموضوع قبل أن نتزوج. أخبرني الطبيب «جوزفنسون» أن لا سبب يمنعنا من التفكير في إنجاب ولد فالسرطان لا يؤثر إلا في حالة من أصل ألف حالة.

اشتدت أصابعه فوق بشرتها الدافئة: «أتذكر الإحصاءات جيداً، إن كان هذا ما تتحدثين عنه».

- إن كنت تقترح أن أتناول حبوب منع الحمل فأظن أن زواجنا انتهى فعلاً لأني لن أسبب الأذى لطفلي أبداً.

مرّر يديه على ذراعيها وهو يقول بنبرة ملحّة: «لعل هذا هو الحلّ الوحيد إن كانت حياتك في خطر».

لم تعرفه دومينيك يخاف شيئاً، لكنها سمعت الآن الخوف الخالص في نبرته.

حين طلبت منه مهلة ثلاثين يوماً لترى ما إذا كان بالإمكان إنقاذ زواجهما لم تتخيّل أن شعوراً مدمراً كالخوف قد يتصدر لائحة المشاكل التي عليها تخطيها.

- لن أموت إلا بعد زمن طويل أندرياس. العام الماضي كان قلق الطبيب الأساسي يتركز على هزالي لأن ذلك يقلل من إمكانية الحمل. أما الآن فقد بلغت وزني المثالي وأرفض البحث عن مشاكل غير موجودة. لقد ذكرت قضايا أخرى علينا تخطيها.

لم يساهم كلامها إلا في زيادة توتره.

قالت وهي تبتسم: «لقد نسيت أنه اليوم الثاني من مصالحتنا، ووفقاً لحساباتك ينبغي أن ينهار كل شيء اليوم. إن كان هذا هو الحال فلما لا نعود إلى السرير ونستفيد من الساعات القليلة المتبقية».

همس بصوت معذب: «كوني جديّة».

قالت بحدة ساخرة: «أنا جدية تماماً».

وابتعدت عنه وتسللت تحت الأغطية ثم خلعت قميصها وطوته ورمته نحوه. وقبل أن يدق قلبها للمرة الثانية كان قد وصل إليها وثبتها

على الفراش.

حدقت في عينيه بجرأة وقالت: «إنك تتحرك بسرعة رغم سنك المتقدم، أتعلم ذلك؟».

زمجر: «عجوز، سأريك كم أنا عجوز».

وبعد ثلاث ساعات استيقظت دومينيك وانسلت بحذر من بين ذراعيه القويتين.

ومع أنها لا تزال متلهفة لزوجها إلاّ أنها سيطرت على نفسها ولم توقظه. أملت أن يجلبه إليها الفطور المعدّ على الطريقة الأمريكية الذي تخطط لتحضيره.

بالكاد كان يتناول فطوره، بل يكتفي بالقهوة لكنه يعوّض في الوجبات الأخرى. إنما هذا لن يحصل اليوم.

بعد أن أخذت حماماً سريعاً ارتدت ثوباً فضفاضاً وربطت شعرها إلى الوراء. وما أن دخلت إلى المطبخ حتى بادرتها «إيليني»: «هل تحتاجين شيئاً؟»

هزت دومينيك رأسها:

- كلا، شكراً. أوّد أن أحضر لنا الفطور.

- سأنادي «آنا»..

- لا بأس. أريد أن أحضر الفطور بنفسي لزوجي.

- هل أنت واثقة من ذلك؟

من الواضح أن «إيليني» لا تعرف كيف تتعامل مع الوضع. لطالما كان فريق العمل جاهزاً لخدمة أندرياس. كان ذنب دومينيك أنها لم تتدخل في النظام القائم، لكن هذا كله على وشك أن يتغيّر من الآن.

- هلا أريتني مكان ما أحتاجه؟ أود تحضير وجبة رائعة. لقد خسر بعضاً من وزنه، ألا تظنين ذلك؟

شعرت بالارتياح حين أومأت المرأة الأخرى وابتسمت: «من حسن حظه أنك عدت».

- آه، «إيليني»، كنت بحاجة لسماع ذلك.

عملا معاً وكأنهما يحضران لمؤامرة ما. وبعد فترة قصيرة حملت صينية إلى الجناح الرئيسي. وابتهجت حين فتح أندرياس عينيه عندما اقتربت من السرير.

- أتيت محمّلة بالهدايا. اجلس وسأقوم بخدمتك بنفسي سيدي.

ابتسامته التي كشفت عن أسنان بيضاء كانت مذهلة. بعد أن نفّذ كلامها وضعت الصينية في حضنه.

- لم أكن أعلم أن «آنا» تستطيع تحضير طعام كهذا...

- ليست «آنا» بل انا...!

اجتاحتها نظراته المليئة بالدهشة: «لا تقلق. سويت الأمور مع «إيليني» بحيث لا يشعر أحد بالحرج».

وضعت وسادتين بالقرب منه وجلست على السرير وتناولت صحنها. أثار حماستها أن تراقبه يلتهم بشهيّة قطع الخبز المحمّص والبيض المخفوق. كما تناول العصير دفعة واحدة.

قالت وهي تأخذ رشفة من العصير: «يا للغرابة! كان لدى «إيليني» انطباع بأنك فقدت الشهية على الطعام. عليّ أن اعترف ألا خطب في شهيتك. بالنسبة لرجل عجوز مثلك، تفاجأت لبعض الأمور التي قمت بها ولم أكن أتوقعها منك».

رمقها بنظرة جانبية: «بالنسبة لطفلة عروس فاجأتني أنت أيضاً ببعض الأمور التي قمت بها».

- ربما يجب أن آخذك إلى الطبيب لنجري فحصاً لقلبك من باب الاحتياط فقط.

- أيتها العفريتة الصغيرة.

وعندما أخذها بين ذراعيه كان كلاهما مقطوع الأنفاس.

- شكراً على طعام الفطور، إنه شهي مثلك أنت.

ارتفعت زاوية فمها: «هل تظنني شهية؟».

ضحكته الخافتة أثارت جنونها.

- كيف تقول ذلك باليونانية؟

تمتم بالقرب من شفتيها: «اسأليني عن ذلك لاحقاً فلدي الآن أمور أهم أقوم بها».

- انتبه للصينية!

أتى تحذيرها متأخراً إذ تعالى صوت تكسّر الصحون والأكواب.

صرخت وهي تبعده عنها: «لا! ما زلت أنتعل حذائي. وإن قمت بحركة واحدة فستجرح نفسك».

منعها من النزول عن السرير قائلاً: «دعيها! لدي خدم يهتمون بالأمر».

- لا يجدر بهم تحمّل أخطائنا.

- أنا أدفع لهم أجراً للقيام بهذا.

- تدفع لهم للقيام بالعمل الروتيني... نعم ولكن...

- الحوادث المتفرّقة تدخل ضمن أعمالهم الروتينية كذلك.

وضعت راحتيها على وجنتيه قائلة: «أنا آسفة، لم أكبر في منزل يحيطني فيه الخدم. تدفعني غريزتي إلى القيام بالأمور بنفسي. أحب أن أخدمك بنفسي لكن ليس إن كان هذا يعني إغضابك أو العبث بعالمك».

كان صدره يهبط ويرتفع بشكل واضح: «دعيني أوضح لك أمراً، أحب أن تقوم زوجتي بخدمتي حين نكون..».

منعه رنين الهاتف الداخلي من إنهاء جملته.

كان لا يزال يعانق دومينيك حين رفع سماعة الهاتف بالقرب من المصباح وقال: «لعلّها «إيليني». ما كانت لتزعجنا لو أن الأمر ليس مهماً».

كان الحديث مختصراً. وعندما قطب حاجبيه، أدركت أن ثمة خطب ما.

لم يتوقع أندرياس أن تأخذه عودة دومينيك إلى عالم يودّ البقاء فيه إلى الأبد بعيداً عن أي كان. لقد جلبت له متعة لا توصف وشعر أنه ولد من جديد. لكن وعلى الرغم من روعة الساعات الماضية إلاّ أنه لم يكن يتغاضى عن حقيقة أن زواجهما لا يزال هشاً، وأن ثمة أمور تحتاج للمعالجة.

حين حذرها أن الأمور قد تنهار في غضون أربع وعشرين ساعة لم يكن يدرك كم أنّ توقعه صائب.

اتصال هاتفي واحد كان كفيلاً بإعادته إلى عالم الواقع، وبتمزيق صورة المتعة الحديثة التي حصل عليها في وقت أقل بكثير مما توقع.

لن يكون الألم الذي عاشه العام الماضي ليقارن بما سيشعر به من أسى إن فشلت محاولات المصالحة بما لا يسمح لهما بالعودة معاً مجدداً.

قال بوجوم بعد أن أقفل الخط: «لدينا بعض الزوار».

- من؟

- بول يساعد أولمبيا وآري على الاستقرار. إنها في إجازة. بما أنه كان عليّ العودة إلى أثينا قلت لها إنها تستطيع استعمال اليخت والفيلا.

راقب عينيها البنفسجيتين ينتظر أن يرى فيهما الحزن لسماعها الخبر لكنها أدهشته حين بقيتا صافيتين.

- كما أخبرتك سابقاً، أنت الرجل الأكثر سخاء ولطفاً الذي عرفته في حياتي. أسرع وخذ حماماً بينما أساعدها مع آري. لكن أرجوك انزل عن السرير من هذه الجهة عزيزي. لا أوّد أن أهرع بك إلى الطبيب بسبب مشكلة قلبك وجرح في قدمك.

قبلته بشغف قبل أن تختفي من الغرفة. لم يتمكن أندرياس المذهول من تصرفها إلا أن يحدّق فيها وهي تغادر. لقد تغيّرت زوجته كثيراً.

٥ ــ خطط ومشاريع

رأت دومينيك من خلال النافذة الواقعة شرق الفيلا بول وهو يجلب الأغراض من الهليكوبتر، فهرعت إلى الخارج.

- مرحباً بول! كيف أستطيع مساعدتك؟

جال بنظره على ملامح وجهها واستقر على شعرها المربوط. من الواضح أن مظهرها الجديد لا ينفك يفاجئه.

- هذه آخر الأغراض.

- دعني آخذ هذه التي تضعها تحت إبطك.

- شكراً لك.

لاقتهم «إيلليني» عند المدخل: «وضعت أولمبيا في الغرفة الزهرية، إنها تسخن الحليب للطفل في المطبخ».

- رائع. تعال بول لنجهزّ المهد لآري.

- سبق أن فعلت.

- أنت رائع، أتعلم ذلك؟

ابتسامة نادرة لاحت على وجهه، كانت تزيده وسامة. أخبرها أندرياس أنه أقام علاقات متعددة على مدى السنوات الماضية إلا أن أياً منها لم يدم طويلاً.

لحق بها على طول الرواق نحو غرفة النوم. كان آري مستلقياً في عربته يتأمل أصابع قدميه، لكن نظرة واحدة إلى دومينيك جعلت ملامح وجهه تتغير.

أخذت تشكو الطفل الباكي إلى بول: «لدي تأثير رهيب عليه. لقد

حصل الأمر نفسه ذاك اليوم».

- إنه لا يعرفك بعد. هيا آري.

قال شيئاً آخر باليونانية، ورفع الطفل بين يديه فتوقف عن البكاء حالاً لكنه حدق في دومينيك وكأنها عدوته. كانت تسعد في إغاظته: «حسناً، أيها العمّ بول... من كان ليظن أن لديك لمسة سحرية؟».

- بول مليء بالمواهب الخفية.

استدارت دومينيك لتنظر إلى زوجها الذي حلق ذقنه للتو وارتدى سروالاً أبيض وسترة ضيقة أبرزت صدره. بمجرد النظر إلى ملامحه الرجولية وتفاصيل جسمه أحست برئتيها تفرغان من الهواء.

وحين عادت تنظر إلى بول لاحظت احمرار وجهه.

كيف يمكن لها أن تعرف صديق أندرياس طوال هذا الوقت وتظنه رجلاً مهيباً من دون أن تدرك أنه رائع وخجول. العام الذي أمضته بعيداً جعلها ترى الأمور من منظار مختلف.

فتحت علبة الألعاب ووضعتها على الأرض قائلة: «دعنا نرى ماذا يفعل آري بهذه يا بول؟».

وما أن وضعه أرضاً حتى بدأ الطفل يركل الألعاب أمامه بكل قوته. إنه يحب اللعب بها حقاً. أخذت دومنيك تتأمل ملامحه التي لاحظت أنها تشبه ملامح أولمبيا، أما شكل جسمه و شعره فيشبهان ثيو.

اعتصر قلبها وهي تفكر في أن ثيو أبعد نفسه عن ابنه من لحمه ودمه. كل طفل يستحق وجود أبيه بجانبه إن كان ذلك ممكناً.

كانت دومنيك تعشق والدها. فلطالما كان رائعاً معها لاسيما حين اتصلت به لتخبره أنها مصابة بالسرطان. وحين قال لها إنها ستكون بخير شعرت أن ملاكاً يكلمها.

لن يعرف آري هذا الشعور أبداً.

أحسّت بالدموع تحرق عينيها وهي تفكر بثيو والولد.

شعرت فجأة بنظرات أندرياس تتركز عليها فنظرت نحوه. وخيّل

إليها لبرهة أنها رأت طيف ألم في عينيه.

هل لا يزال يخشى أن تكون قد حملت؟

أثناء خضوعها للعلاج تعلّمت الكثير عن أحباء المصابين بالسرطان. لقد كانوا يعانون على طريقتهم الخاصة كذلك، وعليهم أن يتعاملوا مع ألمهم الخاص.

استطاعت دومنيك أن تدرك أنها ألحقت ما يكفي من الضرر لأنها لم تتحدث مع أندرياس بالأمر. كان عليه أن يتكتم عن الأمر لئلا يزعجها، وها هو الآن لا يعرف كيف يتعامل مع مشاعره. لاحقاً عندما يصبحان وحدهما ستجبره على أن يخبرها بكل ما يفكر فيه وما يقلقه حتى لو بدا وكأنه يكررنفسه. الحوار المفتوح هو الطريقة الوحيدة لمساعدته على التأقلم مع الوضع في المستقبل.

عادت تركز اهتمامها على آري. لم تتمكن من أن تمنع نفسها من أن تداعب بطنه الصغير بأصابعها وهي تقول: «يا لك من طفل رائع».

حدق فيها بعينين بنيتين كبيرتين.

- لا يعرف آري ماذا يظن بي؟

تكلمت أمه وهي تدخل من الباب: «ابني ليس معتاداً على سماع اللغة الإنكليزية».

وقفت دومينيك: «إنه ولد جميل أولمبيا. أنت أم محظوظة».

- أعتقد هذا أيضاً.

- يبدو أنك تستعدين لإطعامه لذا ستركك لوحدك.

- هل تودين إطعامه الحليب بنفسك؟

لقد تغير تصرف أولمبيا عما كان عليه منذ يومين فما الذي يجرى؟ أجاب أندرياس قبل أن تتمكن دومينيك من الكلام: «أخشى أن لا وقت لديها لذلك، فالقبطان ينتظر كي يوصلنا إلى أثينا، سبق أن رتبت الأمور لتوضع أغراضك على متن الهليكوبتر، دومينيك».

هل هما يغادران إلى أثينا في هذه اللحظة؟

لم تستطع أن تصدق لكن الوقت ليس مناسباً لمجادلة زوجها حول هذا القرار.

التفتت إلى أولمبيا قائلة: «أودّ كثيراً أن أطعم طفلك. حين تعودين إلى أثينا اجلبيه إلى المنزل بحيث يتعرف إلي بشكل أفضل. لعله يتوقّف عن البكاء حين يراني».

- حين تنتهي عطلتي، سأتصل بك.

- سأحب ذلك كثيراً.

كانت دومينيك على أهبة الاستعداد لتلعب لعبة أولمبيا. أدركت أنها إذا أتقنت اللعبة ولعبتها بحكمة وصبر فسوف تتعب أولمبيا في النهاية وتستسلم لواقع وجود دومينيك وبقائها.

التفتت إلى بول تسأله: «هل ستأتي معنا أنا وأندرياس؟».

- أجل.

رفع الطفل وأعطاه لأولمبيا.

وسألها أندرياس: «هل من شيء يسعنا فعله قبل أن نرحل؟».

هزت أولمبيا رأسها قائلة: «سبق أن فعلت الكثير، شكراً لك».

قبّل رأس الطفل وحين رفع نظره التفت إلى دومينيك: «هلا نذهب؟».

- دعني أحضر حقيبة يدي وحسب.

هرعت إلى غرفة نومهما وأزالت الرباط البلاستيكي الذي يعقص شعرها ومررت فيه الفرشاة. باتت الآن جاهزة للرحيل.

خرجت من الفيلا تركض نحو الهليكوبتر وساعدها أندرياس في الصعود. أخذ مكانه بجانب القبطان وجلس بول في المقعد قبالتها. وما أن أصبح الجميع في أمكنتهم حتى ارتفعت الطائرة عن الأرض.

حزنت لرؤية تعابير وجه أندرياس المتوجمة. كان حبيب الليلة الماضية المليء بالإثارة قد اختفى وحل مكانه شخص آخر. وعندما نظرت إليه ثانية، أدركت أنه يخفي مشاعره وراء هذا القناع من العزلة.

ومن دون تأجيل استدارت دومينيك نحو بول وأجبرته على التكلم عن طفولته مع أندرياس. فأخذ يروي لها بعض القصص التي تعكس شقاوة تلك المرحلة. أخذت تضحك بأعلى صوتها بحيث أخذ هو والقبطان يضحكان أيضاً ما جعل رحلتهما القصيرة ممتعة.

سيارة ليموزين فخمة كانت تنتظرهم في المطار. أنزلا بول أمام شقته وتابعا هي وأندرياس إلى شقتهما ذات الأثاث العصري الحديث الأنيق. كانت المشاهد التي تطل عليها الشقة تخطف الأنفاس.

نظرت إلى المدينة. بدا أن لا شيء قد تغيّر منذ عام. لكن حين سمعت صوت أندرياس وهو يجلب أغراضهما اجتاحتها ذكريات حلوة ومرّة في آن. المرّة الأخيرة التي تواجدت فيها هنا كانت صباح اليوم الذي رافقته فيه إلى المحكمة. تلك كانت بداية النهاية بالنسبة إليها.

شعرت في تلك المرحلة أن أهله تخلوا عنها ولم يظهروا يوماً أي عاطفة تجاهها وقد اختاروا حماية ابنهم. كان زواجها الذي لا يزيد عمره عن أربعة أشهر معلقاً بخيط رفيع. التوتر الذي ساد علاقتها بأندرياس جعل التواصل بينهما مستحيلاً.

لم تعرف ماذا تصدق بشأن علاقة أولمبيا وأندرياس الذي طلب منها أن تثق به. لكن بدا لها مستحيلاً أن يرفع ثيو قضية أمام العالم بأسره... من دون أن يكون الأمر صحيحاً.

عند إقدام ثيو على هذا، اهتزت ثقة دومينيك بزواجها وبأندرياس. وأصبحت إمكانية إقامة أي صداقة مع أولمبيا مستحيلة.

لم تفهم الكلام الذي قيل عند افتتاح الجلسة باللغة اليونانية لكنها فهمت معناه. كانت ملامح الجميع متوجمة وأصوات الصحفيين ترتفع في الخارج، فلم تستطع تحمّل هذا كله وشعرت بأنها تختنق.

لا بد أن بول كان يراقبها لأنه لحق بها إلى خارج قاعة المحكمة وسط معمعة الصحافيين والمصورين وأضواء عدسات الكاميرا.

عندما أعادت التفكير في ذلك النهار تذكرت محاولات بول اليائسة

لجعلها تعيد النظر في الأمور. لقد قاد السيارة طوال الطريق نحو المطار وهو يتوسلها ألا تترك أندرياس لكنها لم تقتنع. وخطر لها كم أن بول يحب أندرياس فعلاً. لقد حاول منعها من السفر، هذا وحده كان يفترض أن ينبئها أن ثمة أمور لا تعرفها. لكنها كانت تعرف حقاً في أعماقها، إلا أن شعورها بالنقص كامرأة أعماها عن رؤية بعض الحقائق.

استدارت نحو زوجها حين قال: «دومينيك؟».

لاحظت ابيضاضاً ما حول فمه وقد بدا لها وكأنه مريض: «أريدك أن تتصلي بالطبيب جوزفنسون».

مشت نحو الطاولة الزجاجية وسحبت دفتر أرقام الهواتف الصغير من محفظتها قائلة: «أرقام هاتفه في حقيبة يدي. إنه الصباح في نيويورك. لعله لا يزال في المنزل أو يقوم بجولة على المرضى قبل أن يذهب إلى عيادته. سأحاول إيجاده».

أعطاها أندرياس هاتفه الخلوي فجلست على الأريكة وطلبت رقم عيادة. الطبيب أولاً. أخبرتها السكرتيرة أنها تتوقع قدومه بعد فترة قصيرة وأنه سيتصل بدومينيك حالما يصل.

أقفلت الخط ونظرت إليه: «إنه في طريقه إلى العيادة وسوف يعاود الاتصال بنا».

كانت قلقة تحاول التخفيف من قلقه فنهضت من مكانها ومشت نحوه. أخذت يديه بين يديها وقالت: «هل أخفف عنك إن قلت لك أنه ليس وقت الخصوبة لدي، وأني كنت سأخبرك لو أن ثمة فرصة أو إمكانية لأن أحمل».

شعرت بجسمه يرتعش ارتياحاً.

-لا تسيء فهمي أندرياس. أنا أريد طفلاً، طفلاً منك أنت. لكننا نعيش فترة تجريبية لنرى إن كان زواجنا سينجح فعلاً. وإلى أن نتأكد من أنه متين بما يكفي، لا يحق لنا أن نأتي بأي طفل إلى العالم.

وضع يديه على كتفيها: «أوافقك الرأي تماماً. الليلة الماضية لم

أكن أفكر..».

اختنقت بقية الكلمات لأنها أسكتته وقالت: «الليلة الماضية كانت الأروع في حياتي كلها. هكذا يجب أن تكون الأمور بين حبيبين عاشقين. أرجوك لا تفسد ما حصل بمشاعر الندم».

- دومنيك...

عانقها بشغف وقوة كادت تذوب معهما بين ذراعيه لكن طريقة عناقه كشفت عن حاجات ومخاوف لم يفصح عنها بعد. لا يزال أمامها الكثير لتفهمه عن زوجها.

ما أن حملها بين ذراعيه وشار بها نحو غرفة النوم حتى رن الهاتف، وقالت: «لابد أنه الدكتور جوزفنسون».

عاد يحملها إلى الأريكة وأجلسها في حضنه. أمسكت بالهاتف وعرّفت عن نفسها.

كان ذلك هو الطبيب: «مرحباً دومينيك، قالت لي السكرتيرة إنك تريدين التحدث إلي. ما الأمر؟».

- في الواقع، زوجي يود التحدث إليك للحصول على بعض الإجابات. فهل لديك بعض الوقت؟

- هل هو بجانبك؟

- أجل.

- دعيني أتحدث إليه إذاً؟

طال الحديث بينهما كثيراً فتسللت من حضنه وذهبت إلى المطبخ لإحضار بعض العصير.

مهما كان ما قاله الطبيب فقد بعث نوعاً من الارتياح في نفس زوجها. وحين أقفل الخط كانت ملامحه أفضل وأكثر وسامة، ولم يعد القلق بادياً في عينيه.

أخذت نظراته تتأمل جسمها: «يعجبني ثوبك كثيراً. الألوان تتماشى جيداً مع لون شعرك وبشرتك».

أخذ جسمها يرتعش: «إنه ثوب بسيط».

- إنه مذهل.

- شكراً لك.

- أخبرني بول أنك أتيت إلى اليونان من دون أمتعتك.

- اشتريت بعض الأغراض من فيسكاردو.

كانت تعرف إلى أين يمكن أن يؤدي مثل هذا الحديث. وخطر لها أن تقول له إنها ستطلب من والديها أن يشحنا كافة ملابسها من سيرابيفو، لكنها غيّرت رأيها في اللحظة الأخيرة.

لم تكن تسمح لأندرياس في ما مضى بأن يرافقها لشراء الملابس، وقد أعادت الثوب الوحيد الذي اشتراه لها من دون أن تجربه حتى. كان ثوباً يشبه الذي تلبسه الآن نوعاً ما، لكنها أرادت ثوباً يخفي رقبتها وجسمها. لم تكن تشعر بأنها جميلة وتفضّل أن تخفي ذراعيها كذلك.

كان أندرياس رجلاً سخياً إلا أنها حرمته متعة تقديم مفاجآت صغيرة لها. أحياناً، تتساءل كيف استطاع تحمّلها كل تلك المدّة.

- هل أنت مضطر للذهاب إلى المكتب بعد ظهر اليوم؟

- كلا.

- دعنا نذهب للتسوق في كولوناكي.

كان هذا أحد الأحياء السكنية الواقعة في قلب أثينا والمليء بالمتاجر الفخمة والمتاحف الفنية والمطاعم الفاخرة. كانت تعلم أنه المكان الذي يتوق لاصطحابها إليه.

التمعت عيناه: «ستتناول وجبة ممتازة كذلك».

- أريد أولاً اختيار بعض الملابس المناسبة لهذا الشهر. وإن تناولنا الطعام أولاً فستضطر لمساعدتي في ارتداء ملابسي.

أثبتت لها ابتسامته الساحرة أنها قالت الكلام المناسب. بعد حديثه مع الطبيب اختفى قلقه على ما يبدو، أو في الوقت الراهن على

الأقل. بعد مرور ساعتين من الزمن، كانا قد اشتريا ما يملأ خزانة كاملة من الأثواب والأحذية التي طلبا توصيلها إلى الشقة في اليوم التالي. لم تمرح قط في حياتها كما فعلت اليوم.

مشاركة زوجها في كل شيء تجربة جديدة بالنسبة إليها عزمت على الاستمرار بها ما يعني تطوير علاقتها بوالديه.

أثناء تناولهما الطعام اللذيذ افتتحت الحديث قائلة: «أعلم أن لديك الكثير من الأعمال هذا الشهر، لكن هل تظن أنك تستطيع أن تدعو والديك لتناول العشاء معنا في إحدى الأمسيات؟».

صمته جعلها تدرك أنها فاجأته بطلبها. واستطاعت أن تلاحظ أنه يفكر في ما قالته وهو يمسح زاويتي فمه بالفوطة: «ليس لديّ أي عمل يوم الجمعة، سأتصل بهما وأرتب لقاءً».

- سيكون هذا رائعاً. أريد أن أتعرف إليهما حقاً. حين تعارفنا من قبل أخبرتني أنهما كانا في فترة حداد على موت ماريس. إنما كان يجدر بي أن أبذل جهداً أكبر للتعود عليهما. المشكلة أن الوقت لم يكن يوماً مناسباً لذلك.

- هذا صحيح.

نظرت في عينيه مباشرة: «هل تعتقد أنهما سيأتيان؟».

- بالطبع.

- حتى لو كانا يظنان أني لست الزوجة المناسبة لك؟

أوضح لها بنبرة رجل الأعمال التي يلجأ إليها في مكالماته الهاتفية: «هذا ليس رأيهما بك».

لم تستطع دومينيك منع نفسها من إطلاق إبتسامة حزينة: «إنه رأي أي والدين يؤذي أحدهم ولدهما. لم أساندك أثناء المحاكمة، وبالتالي خذلتك. أود أن أصلح الضرر».

حدس دومينيك أنباها أنه لا يمكن لزواجها أن يكون سعيداً بالكامل إلا إذا تقبّلها والداه. الطريق طويل أمامها لكن ليلة الجمعة قد

تكون الخطوة الأولى.

كانت نظراته محجوبة وراء ستار يخفي مشاعره المعذبة وهو يسألها: «هل أنت واثقة من أنك تريدين القيام بذلك؟».

- أكثر من أي شيء في العالم. والداي يظنانك العالم بالنسبة إليّ، وآمل أن يشعر والداك بهذا أيضاً.

اشتدت عضلات فمه: «إن قلت لي إن تهمة الزنا لم تغيّر مشاعر والديك نحوي فلن أصدقك».

جلست بشكل مستقيم وقالت: «لم يصدرا حكماً عليك قط، ولا مرّة واحدة. كنت رائعاً معي بعد تعرضي للحادث، ولن ينسيا لك ذلك أبداً كما يرفضان أن يصدقا أي كلام سيء عنك».

سادت فترة من الصمت: «لطالما شعرت بتقدير كبير حيالهما. كنت معجباً بهما كثيراً في الواقع».

- لسوء الحظ أن التعارف مع والديك كان أشبه بالصدمة. لم أكن سوى فتاة أميركية يافعة هزيلة، النقيض التام للعروس التي يحلمان بتزويج ابنهما الوحيد بها. لم أستطيع أن أقول سوى بضع كلمات بلغتكم، وما بدوت أني قادرة على إنجاب حفيد لهما.

تجهمت ملامحه وهو يسألها: «ومن قال لك كل تلك الأمور؟».

- لا أحد. هيا عزيزي اعترف أن هذا ما شعرا به بالضبط.

خرجت كلماته همساً حين قال: «أنت تكذبين. لا بد أن أحدهم زرع هذه الأفكار في رأسك».

حتى لو فعل أحدهم ذلك فهي لا تنوي إخباره.

- لا حاجة لأن أكذب عليك. بعد أن رأيت صورة ماريس التي تبقيها على مكتبك أدركت الحقيقة. لو كنت والدتك لشعرت بالخيبة عند لقاء غريبة مثلي، فتاة تبدو كصبية إن لم تحدق فيها جيداً.

ما كان يمكن للنادل أن يختار توقيتاً أفضل لإحضار لائحة التحليات التي أعادها أندرياس إليه من دون أن ينظر إليها: «لا أهتم

لأي من هذه الأطباق».

حذت حذوه وقالت: «كان الطعام لذيذاً جداً وأكلت كثيراً بحيث لا أستطيع تناول أي شيء آخر حالياً».

- جيد جداً.

ما أن ابتعد النادل عن الطاولة حتى رمقها أندرياس بنظرة غاضبة: «لم ننه هذا النقاش بعد».

حثته بهدوء: «لندع الأمر جانباً أندرياس. ما كنا نتحدث عنه حصل منذ وقت طويل وأصبح من الماضي. كل ما آبه له هو أن أمضي أمسية ممتعة معهما. قلت إن لديك أشرطة فيديو عائلية كثيرة في مكان ما. ما رأيك لو نشاهدها معهما؟ لطالما رغبت في مشاهدتها وأراهن على أن والديك سيحبان ذلك أيضاً. لعل ذلك يجعلهما منفتحين قليلاً فيتحدثان عن مشاعرهما. أتمنى أن يقرّبنا ذلك من بعضنا البعض».

- إنها فكرة عبقرية.

كان يقصد كلامه وإلا لما قاله. شعرت بفرح عارم لكنها لم تنخدع فسيظل أندرياس يحقق معها ليعرف الاسم. كان يعتقد أن شخصاً ما أثر كثيراً في أفكارها حيال والديه. لم تكن دومينيك تخشى سوى أن يحزنه الأمر، فهي قد تخطت آلامها منذ زمن.

بعد أن دفع الحساب ابتعد عن الطاولة واستدار حولها ليساعدها على النهوض من كرسيها: «دعينا نذهب إلى المنزل ولنبحث عنها. أظن أني وضعت بعضها على الرفوف في غرفة النوم».

عادا إلى المنزل بسيارة أجرة.

وعندما دخلا استدارت نحوه لتقول: «سأجري بعض الاتصالات بينما تبحث أنت عن الأشرطة. يجب أن يعلم أبي أني لن أعود إلى العمل. سبق أن تكلمنا في الأمر لكني أريد أن أجعل الأمر رسمياً».

- هذا أمر آخر نحتاج لمناقشته.

شعرت بالخوف من أن يقول لها إن الأمور بينهما لن تنجح فصرخت: «ماذا؟».

أخذ يمرر إصبعه على وجهها فجعلت لمساته الدم يغلي في عروقها: «لم أكن أعلم أنك استلمت عملاً أثناء فترة انفصالنا. غداً، سأذهب إلى العمل وستبقين وحدك مع الكثير من وقت الفراغ. بقدر ما رغبت في أن تكوني ربة منزل فقط بقدر ما أيقنت أن هذا ليس منصفاً بحقك».

أذهلها اعترافه: «ستكون دوماً على رأس أولوياتي، لكن لدي بعض الخطط التي لا تتطلب الكثير من الوقت هذا إن وافقت عليها أصلاً. بعد أن أنهي الاتصالات سأعرضها عليك للأخذ برأيك. أتوقع منك أن تكون صادقاً معي تماماً».

تمتم قبل أن يتوجه إلى غرفة نوم الضيوف: «حسناً».

كانت قد اتخذت القرار بعدم إبقاء المزيد من الأسرار بينهما فتبعته إلى الغرفة. وحين اكتشف أندرياس أنها خلفه تماماً، نظر إليها متعجباً، فطبعت قبلة على شفتيه ثم جلست على السرير تجري الإتصال.

بدا لها وكأن الخزانة مليئة بالكنوز التي جمعها للذكرى. لم تستطع أن تصبر حتى تعرف ما فيها لكنها مضطرة للعمل على قضية أكثر إلحاحاً: «دوماني!».

لطالما كان والدها يناديها بهذا الاسم.

- مرحباً أبي.

- سوف تجن أمك لأنها فوتت هذا الاتصال. ذهبت تزور عائلة "لاديسلاف" لتواسيها بوفاة قطتها اليوم.

- سأرسل لهم بطاقة تعزية.

ضحك والدها وسألها: «كيف حالك؟».

- أنا أجلس على حافة السرير في شقتي أراقب زوجي وهو ينظف

خزانة أعتقد أنه لم يلمسها منذ سنوات.

ابتسم لها أندرياس من فوق كتفه. كانت تحب بنية جسمه الضخمة، وتحب كل ما يتعلق به.

- أفترض أنك لن تعودي إلى العمل.

- كلا.

- تبدين سعيدة.

- أبي، أحبك!

- نحن أيضاً نحبك حبيبتي. تابعي ما تقومين به، ولا تنسي أننا دائماً هنا من أجلك.

أجابت بصوت متحشرج: «أعلم ذلك».

- بلّغي لصهري سلامي وتحياتي. سنكون جاهزين لزيارة إلى أثينا حين تدعيننا.

- حسناً، قبّل أمي بالنيابة عني.

- ما من مشكلة في ذلك.

كان والداها من أسعد الأزواج الذين عرفتهم: «تصبح على خير أبي».

- انتبهي لنفسك حبيبتي.

- وأنت أيضاً.

أقفلت الخط. وكان أندرياس قد أخرج ثلاثة صناديق ووضعها بالقرب من الباب.

- قال أبي إنك صهره المفضل. وطلب مني أن أبلغك تحياته.

دفعها أندرياس إلى السرير وهمس في أذنها: «إنه مضطر لقول هذا».

أجابته بحسم: «كلا، حين عدت إلى سراييفو وقلت لهم إني سأطلب الطلاق شعرا وكأنهما فقدا ولداً لهما. والداك ليس الوحيدين اللذين كانا يعيشان فترة حداد».

٦ ــ أسرار تُفضح

اخترق صفاء عيني زوجته البنفسجيتين دفاعاته وتسللت إلى روحه فمرّر أصابعه في شعرها الأشقر مغرماً بنعومته.

- أريد أن أعرف اسم الشخص الذي زرع تلك الأفكار في رأسك وتلك الآراء التي لم يفكرا بها أو ينطقا بها يوماً.

غدت تعابيرها مضطربة فجأة: «الأمر لا يهم عزيزي».

- إنه كذلك بالنسبة لي، فكل ما يؤذيك يؤذيني.

- هذا شعوري أيضاً لذا دعنا لا نعذب نفسينا بنبش أمور الماضي.

أخفض نظره إليها وقال: «إن كنت تحمين بول فيجب أن أعرف».

صرخت بقلق حقيقي: «أندرياس... ليس بول بالطبع. إنه يحبك، وهو مستعد لفعل المستحيل من أجلك».

شعر بارتياح عظيم، وانتقل تفكيره إلى الشخص الوحيد الذي عرف أنه يستمتع بخلق المشاكل في حياته الزوجية.

- أي نوع من السلطة يملكها عليك ثيو لتحاولي حمايته؟

- لم يكن ثيو. إن أخبرتك من هو الشخص فقد تسيء فهم الأمر. لذا أفضل ألا نناقشه.

- جربيني.

شعر بها ترتعش. سرت القشعريرة في كافة أنحاء جسمها.

- لم تكن أولمبيا تقصد أي أذى.

- أولمبيا؟

- من الواضح أنها وأختك اختارتا لك إحداهن قبل أن أظهر أنا في الصورة بوقت طويل، إحدى الجميلات السوداوات الشعر من عائلة يونانية عريقة. لقد ضحكنا من الصدمة التي أصيب بها والداك حين أخبرتهما أنك ستتزوج بي. هذا كل ما في الأمر. عدني ألاّ تقول لها شيئاً، فسأنهار تماماً إن فعلت.

دفن رأسه في عنقها وقال: «أعدك».

- شكراً لك. أنا واثقة من أن أختك لو كانت حيّة لقالت الأمر نفسه لي ولضحكنا معاً أيضاً. تعرف مقولة إن الحياة تحضر لك خططاً غير تلك التي تضعها؟ إنها تنطبق تماماً علينا. لو لم أكتشف إصابتي بالسرطان لأنهيت دراستي في جامعة نيويورك. ولانتهى بي الأمر متزوجة من شاب من نيويورك. وأنت حبيبي لتزوجت من الفتاة التي اختارها لك أهلك.

- لا أحد يقرر حياتي عنّي.

- لم أكن أقصد ذلك بشكل حرفي، لو كان لي أخ لقلت إذا ما رأيت أحداهن: «إنها المرأة المناسبة لأخي». إنها الطبيعة البشرية. ألم تلتقِ أي امرأة ظننت أنها مناسبة لبيل؟

ضحك أندرياس وقال: «لقد تأثرت. أوصلت فكرتك».

- جيد.

كان لا يستطيع مقاومة جمالها، وضمها بين ذراعيه بقوة. أطلق تجاويها معه العنان لشغفه بحيث فقد الإحساس بالزمان والمكان.

وبعد مضي ساعات طوال، وفيما هي تستلقي بين ذراعيه مستندة إلى صدره وقالت: «عزيزي؟ أتدرك أننا لم نستعمل هذا السرير من قبل. إنها المرة الأولى؟».

قال يغيظها: «أعرف مكاناً آخر يجب أن نزوره للمرة الأولى كذلك».

عاد أندرياس يغمرها بقوة وهو يشعر بفرح جعله يخاف كثيراً:

«أخبريني عن تلك الخطط التي لا تتطلّب الخروج يومياً».

استدارت بحيث أصبحت تواجهه: «أشعر بالحماسة لتنفيذها لكنك قد لا تشعر بالأمر نفسه. لذا إن كان لديك أي تحفظات فسأطرح الخطة البديلة».

كل ما تقوله وتفعله يسحره ويخطف أنفاسه: «انسي الخطة البديلة، وتكلمي عن الخطة الأصلية».

أشرقت عيناها كنجمتين لامعتين: «تتكلم كشخص حقيقي من عائلة ستاماتاكيس».

حنّها وهو يقبّل رأس أنفها الصغير: «تكلّمي».

- بما أنه يُفترض بي أن أتكلم اللغة اليونانية بطلاقة، فكّرت في إحضار أستاذ لغة خاص. وإليك فكرتي الأخرى. قبل إجراء عملية إستئصال لثديي، قامت بزيارتي شابة متطوعة في مؤسسة السرطان.

عندما ذكرت المرض أجبر نفسه على التسلح بالقوة لئلا تنقبض أمعاؤه.

- لقد شرحت لي تجربتها. كان لدي العديد من الأسئلة التي تمكّنت وحدها من أن تعطيني إجابات عنها. ساعدني هذا أكثر مما تتخيّل. ما أود فعله هو جمع بعض الناجين من مرض السرطان تحت مظلة مؤسسة ستاماتاكيس لمرضى السرطان. ستكون مجموعة من المتطوعين تزور المستشفيات والعيادات في كافة أنحاء اليونان وتقوم بالعمل ذاته الذي قامت به المرأة معي. إن اطلاعي على الموضوع أزال الكثير من مخاوفي. أودّ أن أقوم بالأمر نفسه مع النساء الأخريات اللواتي يواجهن التحدي ذاته.

استلقى أندرياس على الوسائد يكافح الرغبة في أن يخبرها أنه لا يريد التفكير في مرضها، وأنه يريد له أن يختفي تماماً. لكن زوجته العزيزة الجميلة تشعر بحماسة شديدة لهذا المشروع بحيث لم تترك له أيّ خيار سوى أن يستمع إلى حديثها.

- أحد المشاريع التي يمكننا تنفيذها لزيادة الوعي وإنقاذ الأرواح هو رعاية مباراة في الركض، كالماراثون الذي اشتركت فيه هنا في زاكينثوس. لكن المشاركين سيكونون من مرضى السرطان فقط. يمكننا إقامة مثل هذه السباقات في كافة أنحاء اليونان، مرّة كل شهرين أو ثلاثة ربما. قد يتطلب الأمر الكثير من التخطيط لكني أظن أنه سيكون مشوّقاً ومفيداً.

مالت نحوه ووضعت راحتيها على صدره قائلة: «أعلم أنك تكره مجرد ذكر المرض. كل من يحبني يكره لفظه، لكننا إن واجهنا الأمر معاً، فإن الرباط بيننا سيصبح أقوى. لن يحصل هذا بين ليلة وضحاها، وسأعمل على الأمر ببطء وفقاً لجدول زمني يناسبك. لكنني لن أفعل إن أنت رفضت. وسأنهي تعليمي الجامعي هنا. لا أعلم كم من المواد التي سبق وأنهيتها ستحذف لي الجامعات هنا، فأنا أريد أن أحصل على شهادتي».

أحسّ بنفسه يضيق لكنّه مدّ يديه وأمسك بيديها وقبّل رؤوس أصابعها: «دعيني أفكر في الأمر».

- بالطبع حبيبي، لن نستعجل الأمور. لدينا الحياة بأكملها أمامنا.

كانت بغاية الشجاعة. ولم يتمكن من إيجاد الكلمات المناسبة.

قالت وكأنها تقرأ أفكاره: «لا تصنفني مع الملائكة فحال مئات الآلاف من النساء حول العالم كحالي تماماً. ثمة جيش منّا».

اعترف همساً: «جيش رائع. قال لي أبي مرّة إن النساء هم الجنس القوي، وأنا أصدّقه تماماً».

قبّلته زوجته قائلة: «قالت لي أمي مرّة إن أعظم قوة في العالم هي الطيبة. ومن بين جميع صفاتك الذكورية الطيبة هي إحدى أكثر خصالك تميّزاً. أعشقك أندرياس».

وتلبدت عيناها فجأة بالغيوم قبل أن تضيف: «أتمنى فقط لو تفيض طيبتك على ثيو قبل فوات الأوان».

كيف تسلل ثيو إلى حديثهما؟ لم يتمكّن من أن يتابع مسار أفكار زوجته: «ما كان يجدر بأولمبيا الزواج به».

وعندما اغرورقت عينا دومينيك بالدموع وقع أسيرهما: «ما كان آري ليولد. إنه طفل رائع».

- أوافقك الرأي.

أمسكت دومينيك بكتفيه تقول: «لقد تخلّى ثيو عن حقوقه كأب».

لم يدرك أندرياس عمق الحديث الدائر بينهما.

- لم تكن لثيو علاقة بالطفل منذ ولد. حين ذهبت إلى المستشفى لرؤية أولمبيا، أخبرتني أنه لم يأت لزيارتها. تمنيت أن يغيّر رأيه حين يكتشف أن الطفل من صلبه لكنه لم يفعل.

شعرت بغصة وهي تقول: «ارتعدت أوصالي حين أخبرني. لا أستطيع أن أفهم كيف يتخلى أحدهم عن ابنه. آري يحتاج لأبيه. لكن ثيو قال لي إن أولمبيا تزوجت منه كمجرّد نزوة وقد آلمه ذلك كثيراً».

قال أندرياس بنبرة من التحدي: «أي نزوة؟ لأولمبيا العديد من الأصدقاء الشبان لكنها لم ترتبط بأي علاقة جدية حتى التقت ثيو».

ارتعش صوتها: «كان يقصدك أنت».

- أدرك ذلك لكن التهمة سخيفة.

- أتقصد أنك لم تقم أي علاقة معها؟

- على مدى السنوات كانت أشبه بأخت لي لاسيما بعد رحيل ماريس. إن كان لثيو رأي آخر فهذه مشكلته.

عضت على شفتها بقوة: «إنها مأساة أندرياس. لقد صبّ جام غضبه وحقده على طفل بريء».

- إنه ليس طبيعياً. سرعان ما اكتشفت أولمبيا ذلك بعد زواجهما.

بعد لحظات من الصمت سألته: «هل أساء معاملتها؟».

- أجل.

- جسدياً؟

- وعاطفياً. كان يمنعها من التعاطي مع أي فرد من أفراد عائلتنا. كانت تلك طريقته في إبعادها عني.

جلست تسند رأسها إلى السرير: «كيف التقته؟».

- من خلالي. بعد فترة قصيرة من موت ماريس دعوت العائلة لتمضية بعض الوقت على اليخت. دعوت أولمبيا وعمتها التي قامت بتربيتها أيضاً. أمضينا بضعة أسابيع معاً. ثيو وأنا تجمعنا بعض المصالح التجارية المشتركة فأحضرته معي إلى «سيغنس» حيث التقى أولمبيا ووقعا في الحب وسرعان ما تزوجا. يمكنك أن تقولي إنها علاقة سريعة تبيّن أنها خاطئة وأنني كنت أستطيع منعها.

- وكيف ذلك؟

هزّ رأسه: «لا أعرف. كان ينبغي أن ألاحظ بعض المؤشرات».

أخذت تفرك صدره براحة يدها: «من الواضح أن أحداً لم يفعل. حين تزوجنا لم تكن تعلم أي نوع من التحدي أمثله لك».

غطى يدها براحته: «دومينيك، كُفي عن إلقاء اللوم على نفسك. الزواج الناجح يحتاج لشخصين، وأنا كنت أتصرف بغباء معك. أردت للأمور أن تسير بشكل مثالي وأجبرتها على أن تكون كذلك فحاولت إزالة كل العقبات من أمامك قبل أن تصلي إليها إلا أني لم أستطع إزالة إحداها لأن أولمبيا جعلتني أقسم على كتمان السر».

ألقت رأسها على الوسائد بقربه: «حين تشعر أنك مستعد لإخباري فافعل. أما الآن فأريد أن أقول لك كم أحبك».

وشدته إليها تعانقه بكل ما في داخلها من مشاعر حب وعشق.

ها هي زوجته مجدداً تطرد كل فكرة أخرى من رأسه فلا يبقى إلا عشق أحدهما للآخر، هذا العشق الذي يزيد يوماً بعد يوم.

* * *

تمتمت دومينيك تقول وهي تدخل الشقة محمّلة بسلال من الخضار: «ها أنا قادمة».

وأسرعت لتجيب على الهاتف في المطبخ فأوقعت سلة الفراولة أرضاً. وانحنت تجمعها وهي تقول: «آلو؟».

- دومينيك؟

- إنها تتكلم.

- أنا أولمبيا.

- يسرني اتصالك.

لم تستطع دومينيك أن تقول إنها تفاجأت. إنه يوم جمعة أي بداية عطلة نهاية الأسبوع. وقد قالت المرأة الأخرى إنها ستتصل بها حين تعود إلى اثينا. لكن بهذه السرعة؟

- تبدين مقطوعة الأنفاس. هل أنت مريضة؟

- أنا بخير.

أغفلت التعليق مدركة أن أولمبيا تقول كلاماً كهذا لتقلل من ثقتها بنفسها. وشرحت لها: «وصلت للتو من السوق حيث كنت أقوم بشراء بعض الأغراض وقد تعرضت لحادثة بسيطة. هل لا تزالين في «زاكينثوس»؟

- كلا، أتيت بالطائرة مع بول هذا الصباح وعدت إلى منزل عمتي.

- أظن أنها تفتقد لآري.

- فرح أحدهما بلقاء الآخر، ولهذا السبب أتصل بك. إن لم يكن لديك ما تفعلينه فأود لو نخرج للتسوق معاً.

بعد الدلال الذي أغرقها فيه أندرياس، لم ترغب دومينيك في التسوق لعام كامل.

- يسرني ذلك في يوم آخر، لكننا دعونا والدي أندرياس على العشاء الليلة. ولدي الكثير من أعمال الطهو.

- وأين ماريا؟

- نستعين بها في الحفلات الكبرى لكني الليلة أرغب في تحضير

وجبة أمريكية لهما.

- ياله من أمر مثير للاهتمام.

كانت أولمبيا تنتظر أن تتلقى دعوى. اتخذت دومينيك قراراً سريعاً وقررت ألا تخيب أملها: «هل تودين الانضمام إلينا؟».

- لا أريد أن أتطفّل.

- لن تفعلي! تعالي واجلبي آري معك. أنا واثقة من أن والدي أندرياس سيسران كثيراً لرؤيتكما معاً.

- هل أنت واثقة؟

- طبعاً.

- أي ساعة؟

- عند الساعة السابعة مساءً.

لحظة أقفلت الخط مع أولمبيا، اتصلت دومينيك بأندرياس في المكتب فحولتها السكرتيرة مباشرة.

- دومينيك؟

- مرحباً حبيبي.

- هل أنت بخير؟

هذا هو السؤال الذي يتفوّه به حين لا يكونان معاً. وأملت أن يتقلّص قلقه مع الوقت حتى يأتي يوم يتوقف فيه نهائياً.

- أنا بخير. لقد عادت أولمبيا إلى المدينة فدعوتها على العشاء. آمل أنه لا بأس بذلك.

لاحظت طيف تردد قبل أن يقول: «هل تعلم أننا دعونا والدي إلى العشاء أيضاً؟».

- أجل، شعرت أنها وحيدة نوعاً ما. كونها مطلقة مع ولد ليس أمراً سهلاً. وبما أن ماريس كانت أفضل صديقاتها، فلعلها تشعر بالخسارة.

- كانت تلك خطوة ذكية منك.

- لدي دافع خفي وراء ذلك.

- وما هو؟

- كنت أفكر بدعوة شخص آخر أعتقد أنه يشعر بالوحدة أيضاً. لكني أحتاج لرقم هاتفه.

- زوجتي خطّابة. هل أجرؤ على أن أسأل من يكون؟

- إنه بول.

تمتم كلاماً غير مفهوم.

- قبل أن تقول لي إنها فكرة سيئة، اسمعني. إنه مهووس بالطفل.

- جميعنا مهووسون بآري. دومينيك، إنهما صديقان منذ سنوات. ولو قدّر لشيء أن يحدث بينهما ألا تظنين أنه كان ليحصل منذ زمن؟

- لا أعلم. لعل بول لم يكن جاهزاً حتى الآن.

- ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟

- رأيت نظرة في عينيه وهو يلاعب الطفل تتخطى الاهتمام العادي. ما الضير في جمع الثلاثة معاً وترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي؟

- لا بأس بذلك لكني لا أستطيع أن أضمن خطط بول، هل تودين أن أسأله عن مشاريعه؟

- أعتقد أن الدعوة على العشاء يجب أن تصدر عنّي.

- بدلاً من رئيسه في العمل؟

ضحكت وقالت: «نعم! إن طلبت منه أنا المجيء فيعلم أنه يستطيع أن يرفض دعوتي. لذا، سيكون الأمر نوعاً من الامتحان لنعرف ردّ فعله».

- لقد شوّقتني. إليك رقم هاتفه.

دوّنته على دفتر الأرقام بجانب الهاتف ثم قالت: «لا تجهد نفسك في العمل، أراك هذا المساء».

- ماذا لدينا على العشاء؟

- طعام أضمن لك أنك لم تتذوقه من قبل.

- في هذه الحالة سأحضر باكراً لتناول بعض المقبلات التي أرغب في أن تقدم لي في غرفة النوم.

- يا لك من عديم الحياء... سأكون بانتظارك.

كانت تشعر بسعادة عارمة وهي تقفل الخط وتتصل ببول. أجاب عند الرنة الثانية. لا بد أنه رأى رقم المتصل وظنه أندرياس.

- بول؟ هذه أنا دومينيك.

- مرحباً.

سمعت الدهشة في صوته.

- كنت أتساءل ما إذا كان لديك أي مشاريع لليلة؟

- لا شيء ضروري. ما الذي يريده أندرياس مني؟

ابتسمت وردت: «إنه لا يحتاج إليك. لقد دعوت أولمبيا ووالدي أندرياس لتناول العشاء الليلة، وسنشاهد بعض الأفلام العائلية. وقد فهمت أنك بطل تسعين بالمئة منها».

- لا أهتم لأمر أولمبيا. إن كنت سآتي فيجب أن تعلمي أني أفعل ذلك لمساعدتك.

قطبت جبينها: «لا أفهمك».

- سبق أن أفصحت عن الكثير. أراك عند السابعة.

- انتظر... بول.

شعرت بالحزن لأنه أقفل الخط تاركاً إياها مع شعور بالانزعاج على صعد عدة. كان تعلم أنها لم تخطئ بشأن محبته لآري لكنه على ما يبدو غير مهتم لأمر أولمبيا. لقد ذكّرها في الواقع بثيو نوعاً ما.

لماذا يظن أنها بحاجة للمساعدة؟ إلا إذا قصد تمهيد الأجواء مع عائلة أندرياس.

لم تشعر يوماً بهذا القرب من زوجها. كانت المصالحة بينهما تنجح، وهما يتحدثان بانفتاح مع بعضهما البعض ويثق أحدهما بالآخر

أيضاً. لم يعد أي منهما حتى الآن إلى عاداته القديمة. كان قد بدأ يثق بها وهي بدأت تثق به.

إلا أن ملاحظة بول الغامضة أثارت قلقها. ومع أنها انهمكت في تحضير الطعام، إلاّ أنّ ابتهاجها اختفى.

ما أن أنهت إعداد المائدة الأنيقة في غرفة الطعام حتى دخلت تستحم وتستعد. وبينما كانت تجهد لإغلاق سحابة فستانها الأزرق الجديد، دخل أندرياس إلى الغرفة.

- يبدو أنك بحاجة للمساعدة.

ورأت لمعاناً في عينيه وهو يقترب منها وسرت في أوصالها موجة من الإثارة.

وبدلاً من إنهاء المهمة أنزل الفستان عن كتفها وأخذ يطبع عليه قبلاً حارّة. فقالت بأنفاس شبه مقطوعة: «هذا ليس الوقت المناسب! لقد تأخرنا، وسيصل والداك في أي لحظة».

- لا تقلقي بشأنهما، سينتظران في غرفة الجلوس.

- إننا نتوقع وصول ضيوف آخرين كذلك.

هدأت يداه فوق جسمها: «من؟ بول؟».

- أجل.

قبّل أذنها برقة:

- ما الذي تعرفينه وأجهله أنا؟.

أخذ قلبها يخفق بسرعة. كانت هذه فرصتها لإخباره بما قاله لها بول لكن الحدس أخبرها أن الملاحظة التي سمعتها من بول موجّهة لها وحدها.

هذه الليلة ستبقي عينيها وأذنيها مفتوحة. ما أن تأوي إلى الفراش هي وأندرياس حتى تخبره بالأمر. لعلها تكون قد حلّت اللغز حينها.

- ألا تعلم أن المرأة حين تعيش زواجاً سعيداً تريد للآخرين أن يسعدوا بزواجهم أيضاً؟

لا بد أن جوابها أقنعه فأقفل لها سحابة الفستان وأدارها نحوه. وعانقها مجدداً بشغف.

- مساء الخير.

- يبدو أنه صوت والدك.

- لقد جاء مبكراً. أراهن على أنهما كانا يعدان الساعات لحلول هذه الأمسية.

- آمل ذلك. سأقدم لهما بعض الشراب بينما تستحمّ.

خرجت من غرفة النوم وهي واثقة أن والديه سيلاحظان احمرار وجنتيها.

ما أن رآها والد أندرياس حتى فتح فمه. بدا إيلي أشبه بمنتج سينمائي بنظاراته الذهبية الإطار وصلعه البسيط.

اقتربت منه وطبعت قبلةً على وجنته ثم عانقت «برنيس» الفاتنة التي أورثت ملامح وجهها ولون شعرها لابنها.

- سررت كثيراً لأنكما تمكنتما من المجيء الليلة. أندرياس وصل لتوه من العمل وسينضم إلينا في غضون دقائق.

وبعد أن جلسا على الأريكة، كانا شديديّ اللباقة والتهذيب فقررت الدخول في صلب الموضوع بنفسها.

- لا أعلم ما الذي أخبركما أندرياس به، لكني أريد أن تعلما أني أحب ابنكما وقد عدت إلى اليونان لأنجح زواجنا.

حدّق فيها والد أندرياس طويلاً فذكرها بزوجها: «هذا جيد».

أما برنيس فقالت: «سببت الكثير من الأذى لأندرياس برحيلك».

اعترفت دومينيك بالمقابل: «وسببت أذىً أكبر لنفسي. لكن كان عليّ إنجاز العديد من الامور».

علقت المرأة الاخرى قائلة: «لقد خسر ابني الكثير من الوزن على مدى العام الماضي لكنك كسبت بعض الوزن، وتبدين جميلة. أعلم أن الوقت لا يزال مبكراً لطرح السؤال، لكن أتظنين أنك قادرة على

إنجاب حفيد لنا؟».

أدركت دومينيك مغزى سؤالها ومدّت يدها تضغط على ذراعها برفق وتقول: «لقد تخلّصت من السرطان وكل ما آمله هو أن نتمكن من إنجاب طفل قريباً».

بدا أن الخبر كان له وقع السحر عليهما فابتسما وشعرا بالاسترخاء ما جعلها تشعر بأنها أخطأت بشأن تفكيرها في حكمهما عليها. أصرّ أندرياس على أن رأيها في مشاعرهما نحوها نابع من إحساسها بالنقص، وقد سرّها أن تعلم أنه كان محقاً.

ينتظرها الكثير من العمل لتنجح في شد أواصر العائلة، وستكون الليلة هي البداية.

- ستناول الطعام حين يصل الزوار الآخرون.

طرفت برنيس بعينها: «ومن سيأتي عدانا؟».

- اولمبيا.

لم تفت دومينيك نظرة القلق التي تبادلها الثنائي. وقد حان الوقت لإيضاح بعض الأمور.

- أدركت منذ أشهر الخطأ الذي ارتكبته لأني لم أثق بزوجي. لقد عرفنا الكثير من الألم لكن هذا صار وراءنا الآن. أعلم ان أولمبيا هي أحد أفراد العائلة لذا طلبت منها الانضمام إلينا وإحضار آري. إنه طفل ظريف.

بدا «إلي» مذهولاً: «وهل رأيت الطفل؟».

- أجل. وجدتهما على متن اليخت حين كنت أحاول العثور على أندرياس. بول يحب آري كثيراً لذا دعوته لتناول العشاء أيضاً. في الواقع أظن أنهم وصلوا. هلا تعذرانني لحظة؟

سمعت أصواتاً من المدخل وذهبت لتتحقق من القادم. وكان أندرياس قد سبقها ودعا الضيوف إلى غرفة الجلوس.

بدا غاية في الوسامة بسرواله الرمادي وسترته السوداء المفتوحة

عند العنق. لطالما شعرت بأن أوصالها تذوب كرد فعل تلقائي على جمال جسمه.

استدارت دومينيك تنظر إلى أولمبيا التي بدت فاتنة بثوبها الأسود الذي يعكس سمرة بشرتها وقوامها الرشيق. أما بول فكان يرتدي قميصاً أسود تحت سترة عاجية اللون، وقد بدا حسن المظهر.

لكن آري استحوذ طبعاً على اهتمام الجميع حيث أخذته برنيس بين ذراعيها فلم يبك. شعرت دومينيك بالغيرة: «ليسكب كل واحد منكم كوب عصير لنفسه بينما نعدّ المائدة».

طوّق أندرياس خصرها وقال: «سوف أساعدك».

ما أن وصلا إلى المطبخ حتى فاجأها بإسنادها إلى الحائط.

سألته مقطوعة الانفاس: «ما الذي تفعله؟».

- تبدين غاية في الروعة الليلة. أظنني أريد المزيد من المقبلات قبل تناول الطعام.

وكالعادة ذابت بين ذراعيه ونسيت أين هما.

فاجأتهما أولمبيا قائلة: «آه، عذراً، أود وضع قنينة حليب آري في البراد».

أجابها أندرياس: «هاتها، سأضعها عنك».

أسرعت دومينيك إلى الفرن حيث شغلت نفسها بعمل ما ريثما تهدأ. ساعدها زوجها في وضع الاطباق على الطاولة، ثم دعت الجميع للدخول إلى غرفة الطعام.

شعرت دومينيك بالفرح لرؤيتها الجميع يلتهم الطعام لاسيما أندرياس. كان الطبق الرئيسي عبارة عن لحم محمّر مقدّم مع البطاطا المهروسة والجزر والمرق. لم يترك الرجال شيئاً في صحونهم ما يعني أنهم استحسنوا الطعام.

سرّها سير الأمور فنهضت عن الكرسي لتقدم طبق الحلو بالفراولة. حين انتهى «إيلي» من تناول الطعام رفع رأسه قائلاً: «دومينيك، لم

أكن أعلم أنك طاهية ماهرة إلى هذا الحدّ».

- شكراً لك.

أضاف بول: «يمكنك فتح مطعم خاص بك هنا في أثينا».

أكدت برنيس: «تعلمين أنه يمكنك ذلك».

وجّه لها أندرياس بطاقة شكر خاصة بعينيه اللتين التمعتا كنجمتين.

سألتها أولمبيا: «من أين حصلت على حبات الفراولة هذه؟».

- من متجر صغير في بالكا، لديهم منتجات جيدة.

- عليك أن تأخذيني إليه.

- يسرّني ذلك.

نظرت من حولها: «إن كان الجميع قد انتهى من تناول الطعام، أندرياس وأنا لدينا مفاجأة لكم. تعالوا إلى غرفة المكتب».

كان آري قد استيقظ جائعاً يريد قنينة الحليب. فانبرى أندرياس يسخّن الحليب فيما توجهت دومينيك إلى الغرفة الأخرى.

حين جلس الجميع في أماكنهم قالت: «لطالما أردت مشاهدة الأفلام الخاصة بالعائلة، لذا دفعت أندرياس لإخراج الصناديق. قال لي إن الجميع موجود فيها».

كشفت الساعتان التاليتان مشاعر الجميع فسادت أوقات من الضحك وأخرى من البكاء.

كان أندرياس قد رتب أفلام الفيديو بحسب التسلسل الزمني. كان أحدها يظهره هو وماريس كطفلين ويصوّر حفلات أعياد ميلادهما واجتماعات العائلة مع الجدين وبقية أفراد العائلة. مع بدء سنوات الدراسة أظهرت الأفلام كلاً من بول وأولمبيا معاً في كثير من اللقطات.

لطالما شكت دومينيك في عشق أولمبيا لأندرياس سراً. لكن الأفلام أظهرت هوسها الكبير به.

كانت دومينيك تتأمل الجميع فيما انصبّ أنظارهم على شاشة التلفزيون متسائلة عن التعليقات التي تدور في رأس كل واحد منهم.

وعندما كانت تعرض المشاهد أولمبيا مع العائلة كانت دومينيك تصب كامل اهتمامها على أندرياس.

أظهر أحد الأفلام اندرياس وأولمبيا في العشرينات من عمرهما. كان مؤلماً مشاهدة أولمبيا وهي ترمي بنفسها عليه وتحوم حوله وهو في ملابس السباحة.

كانت امرأة أخاذة قد تجذب أي رجل لكن وعلى الرغم من ذلك استطاعت دومينيك أن تجزم أنه لم يكن مهتماً لأمرها. وأتى هذا ليؤكد كلامه بأنه لطالما اعتبرها أختاً له. لكن المؤلم هو أن تراقب أولمبيا وهي تصر بشكل واضح على اثارة اهتمامه مهما كلف الأمر. لقد ظهرت عليها كافة أعراض المرأة اليائسة المغرمة بلا أمل.

أمر آخر لفت اهتمام دومينيك. بدا بول مجنوناً بحب ماريس. من الواضح أنه اهتم لأمرها منذ بداية سنوات المراهقة وقد بدا أنها تبادله مشاعره.

بعد عرض فيلم الفيديو الأخير، أضاء اندرياس الأنوار. ومسح والداه أعينهما الدامعة، ثم نظرا إلى ابنهما دومينيك قبل أن يتمتم «إيلي»: «شكراً لهذه الهدية. كنا أنا وبرنيس بحاجة لمشاهدة هذه الصور من جديد».

ربتت برنيس على صدرها تقول: «صحيح، أفادني مشاهدة ماريس الغالية. ظننت أني لا أستطيع تحمّل الأمر لكن العكس تماماً حصل. شكراً لهذه الامسية الرائعة دومينيك».

اجتازت الغرفة بسرعة وعانقتهما قائلة: «سنفعل ذلك مجدداً عما قريب، أعدكما».

- ستزورينا الأسبوع المقبل.

همتت دومينيك وهي تعانقها مجدداً: «طبعاً».

نهض الجميع من مكانه عدا أولمبيا. كان آري قد غفا في حضنها. اقترب بول وطبع قبلة على وجنة دومينيك ثم مشيا نحو الباب معاً:

«لم أكن أعلم أن أندرياس وأنا بغيضان إلى هذا الحدّ. شكراً لدعوتي».

- من الواضح أنكما لطالما كنتما صديقين حميمين. أهلاً بك في أي وقت بول، وأنا أعني ما أقول.

- أقدّر لك ذلك دومينيك...

وتوقف عن الكلام لأن الآخرين أصبحوا خلفه فصار مجبراً على الانضمام اليهم في المصعد. هذه هي المرّة الثانية التي يحاول فيها أن يقول لها شيئاً.

كان أندرياس يحمل آري في عربته، فانحنى يطبع قبلة خفيفة على عنقها قائلة: «سأرافق أولمبيا إلى السيارة وأعود فوراً».

- أسرع.

دخل المصعد معهم لكن نظرة بول المضطربة كان أكثر ما شدّ انتباهها قبل أن يغلق باب المصعد.

٧ ــ الضحية

- أنت تعملين بسرعة فائقة. بعد هذه الوجبة الرائعة فكرت في أن أساعدك في غسل الصحون.

أطفأت دومينيك نور المطبخ قبل أن تستدير نحو أندرياس: «هذا ليس ما خططت له لبقية السهرة».

أخذها بين ذراعيه ودفن رأسه في شعرها: «لا فكرة لديك كم أثّرت هذه الأمسية في والدي».

- سيكون هناك الكثير منها.

تمتم وهو يقبّل عنقها: «غادرا وهما يشعران بسعادة لم أرها على ملامحهما منذ وفاة ماريس، وكنت أنت وراء ذلك كله. إعادة إحياء الذكريات كانت شفاءً لهما».

- لقد عنت لي الأمسية أنا كثيراً أيضاً. أصبحت أشعر بأني أعرف عائلتك بشكل أفضل.

- أنت جزء من هذه العائلة الآن. رأيت الطريقة التي ينظران بها إلى آري منتظرين اليوم الذي سيحملان فيه حفيدهما.

- هل يعني ذلك أننا سنحاول إنجاب طفلنا؟

- أردت ذلك منذ بداية زواجنا، لكنني خفت أن أعرضك للخطر.

- والآن؟

- لن أكف عن القلق بشأنك لكن الدكتور «جوزفنسون» جعلني أدرك أن حياة مليئة بالخوف ليست حياة أبداً.

ابتعدت عنه بما يكفي لتنظر في عينيه: «أنا سعيدة جداً لقولك

هذا. لعلك لا تتذكر لكني لم أنسَ أبداً ما قلناه أمام المذبح».

تأمل وجهها المضطرب: «سوف نعيش سنوات حياتنا كلها بفرح».

- أجل. لا تعلم كم أردت أن ألتزم بهذه الكلمات لكن مخاوفي اعترضت الطريق. يبدو لي أن ذلك حدث منذ وقت بعيد حتى أني بالكاد أتذكر من هرب أثناء المحاكمة. عليك أن تسامحني لأني لم أصدقك أندرياس.

ارتسمت الخطوط فجأة على ملامح وجهه الوسيم، وقال: «إن لم تتمكني من تصديقي فهذا ذنبي. أنا أتحمل كامل المسؤولية بالنسبة الى ما حصل في الأيام التي سبقت المحاكمة. هيا لنذهب إلى الغرفة الأخرى، فثمة أمر يجب أن أخبرك به على الفور».

حبست دومينيك أنفاسها طوال الطريق إلى غرفة الجلوس.

حثّها على الجلوس بينما ظل واقفاً: «سيستغرق هذا بعض الوقت».

مهما كان الأمر الذي يشغل باله فقد دفعه إلى أن يذرع الغرفة وعرفت أنه أحد الأوقات التي تتطلب صبرها.

- قبل الوصول إلى المحاكمة جعلتني أولمبيا أقسم على أن أحفظ سرّها. كان هذا السبب الرئيسي الذي دفع ثيو لرفع قضية زنا علينا، لم أتمكن من إخبارك بكل شيء في حينها، وأدرك الآن أني ارتكبت خطأً بإخفاء الأمر عنك. لذا سأنكث بوعدي لها وأخبرك إذ لا يسعني المضي في جعلك تفترضين أنك الملامة الوحيدة في مسألة انهيار زواجنا. لو كنت صادقاً معك لوقفت إلى جانبي.

ستحصل دومينيك أخيراً على بعض الإجابات عن الأسئلة التي عذبتها طوال عام كامل: «أظن أن ما لا أفهمه هو كيف تتوقع أن تخفي سراً عن زوجتك».

توقف عن السير وحدّق فيها بعينين معذبتين: «لم يعجبني الأمر صدقيني ولكن الأسباب التي قالتها حينذاك أقنعتني».

- فهمت.

ابتلعت ريقها بصعوبة فأسباب أولمبيا تقنعه دوماً. لكن حين يعيد المرء النظر فيها ويحللها يجد أنها تصب دائماً في مصلحة أولمبيا وحدها؟

- تعود صداقتنا لزمن طويل.

أكدت له متنهدة: «أعرف ذلك. الإثبات واضح في أفلام الفيديو. بدا واضحاً كالشمس أنها معجبة بك منذ كانت فتاة مراهقة. من الواضح أنها ستظل مغرمة بك طوال حياتها. لم يسبق لي أن رأيت شيئاً مماثلاً».

كان قلبها يخفق بسرعة بين ضلوعها وهي تسأله: «أندرياس، هل كنت غافلاً فعلاً عن افتتانها بك؟ أو أنك كنت تدرك شعورها وتتجاهله متمنياً أن يزول يوماً؟».

أخذ يفرك عينيه بغضب: «افترضت ببساطة أنه إعجاب سنوات المراهقة، إعجاب سرعان ما ستتخلص منه عندما تبدأ بمواعدة رجال آخرين».

- وهل سبق أن واعدت آخرين؟

- طبعاً.

- هل تتذكر ما إذا بقيت تواعد رجالاً بعد مقتل ماريس؟

- لا أعلم. كنت غارقاً في الحزن ما منعني من أن ألاحظ شيئاً طوال تلك الفترة. حين أغرم بها ثيو سررت فهو من عائلة يونانية عريقة ورجل ناجح في عمله. وافقت عليه عمتها وظن والداي أنه الزوج المثالي لها لأنه لا يكبرها بكثير وهو قادر على كبح جماح شخصيتها القوية. بدا أن زواجهما مبني على أرض صلبة لكن أولمبيا اعتادت ان تشير إلى أنه بعيد جداً عن المثالية. مع ظهور أمور أخرى للعلن، بدأت أشعر بالقلق. لكني لم أدرك إلى أي مدى كان مسيطراً واستغلالياً إلا بعد عودتي إلى أثينا من شهر عسلنا. بدأت أتلقى

اتصالات منها. بدا أنها تخافه. وعادة ما كانت تتصل بي بعد يوم عمل طويل، وتبكي طوال الوقت. كنت أعلم أنها لا تستطيع أن تتحدث إلى عمتها لأن السيدة كوستاس تظن أنه لا يمكن أن يرتكب أي خطأ.

- وبما أنك صديق العائلة الوفي، اختارت أن تثق بك بشأن زواجها.

تمتم بتوجم: «صحيح».

- ولهذا السبب كنت تعود متأخراً إلى البيت؟

اشتدت قبضته على جانبيه: «حين أدركت ما يجري، أجريت بعض الترتيبات لتقابل محامياً متخصصاً بالعنف ضد النساء. لم تكن تجرؤ على طلب النقود من ثيو فأخبرتها أني سأتكفل بالنفقات كلها».

- كنت مقتنعاً إذاً بأنه المخطئ؟

- اسمعي دومينيك، ستفهمين كل شيء خلال دقائق.

- وهكذا أخذت مالك وعملت بنصيحتك؟

- كلا، قالت إن كبرياءها تمنعها وأضافت أن ثيو لن يسامحني أبداً إن اكتشف أني ساعدتها. بعد أن أبلغتني أسفها لإزعاجي وتفتيشها عن طريقة أخرى لمعالجة أمورها، أقفلت الخط.

لم تتمكن دومينيك من منع نفسها من التعليق: «حتى المرّة التالية».

أوما: «لم تتصل بي لأيام عدة. ثم وفي أحد الأيام، ووسط اجتماع مهم جداً، تلقيت اتصالاً منها حيث قالت إنها بحاجة لرؤيتي وانها مسألة حياة أو موت».

أغمضت دومينيك عينيها بقوة وجاهدت لئلا تقاطعه.

- اعتذرت عن متابعة الإجتماع وخرجت من القاعة حيث أستطيع سماعها على انفراد. عندئذ انهارت وأخبرتني أنها تعرّضت للاعتداء على يد مجهول.

- الاعتداء...

ارتسمت تقطيبة على وجهه: «حدث الأمر في مرآب للسيارات في صباح أحد الأيام عندما كانت متوجهة لزيارة طبيب الأسنان. حين خرجت من العيادة قام أحدهم بسحبها إلى إحدى الزوايا والاعتداء عليها».

سرت قشعريرة في جسد دومينيك. إن كان الأمر صحيحاً، فلا يسعها أن ترى ما هو أكثر فظاعة.

- ما أن استجمعت قواها حتى صعدت إلى السيارة وذهبت إلى مستشفى أكرويوليس لإجراء فحص. قالوا إنهم سيتصلون بزوجها، لكنها توسلتهم ألا يفعلوا.

همست دومينيك تسأله: «واتصلت بك بدلاً من ذلك؟».

- أجل، كلانا يعلم السبب. كانت خائفة من ثيو ومن ردّ فعله. لكني كنت وسط اجتماع غاية في الاهمية ولم أتمكن من التحدث إليها أكثر. رتبت الأمور لتذهب إلى شقتي، وطلبت منها أن تنتظرني ريثما أعود. في الطريق إليها أدركت أن ثمة حلّ وحيد لمشكلتها، وهو أن تتحرر من زواجها. من المؤسف أنه لم يكن لديها أب أو أخ تلجأ إليه.

حدقت دومينيك في عيني زوجها وقالت: «لم تكن بحاجة لأي منهما لأنك دائماً بجانبها».

- لم يزعجني ذلك. كانت بمثابة أخت أخرى لي. لو حصل الأمر نفسه لماريس لكنت أقمت الأرض ولم أقعدها لحمايتها من الأذى.

- أفهمك عزيزي.

أخذ نفساً عميقاً: «عندما وصلت إلى الشقة وجدتها تبكي في السرير. ومع أنهم أعطوها مهدئاً في المستشفى إلّا أنها بقيت مرتعبة مما حصل معها. تحدثنا لوقت طويل. كانت تخشى ان يُلقي ثيو اللوم عليها لتعرضها للاعتداء ويثور غضباً فأرادت إبقاء الموضوع طي

الكتمان. خلال ذلك الحديث جعلتني نظرها إليه مصممة على ألا تدع لأنك وثيو صديقان. وإن عرفت بشأن حادثة في الواقع أنا أفكر في يعرّض خططها للخطر ويمنعها من تركه. كنت أعلم أنها منجذبان جداً سرّها إن طلبت منك كتمانه، لكن عيناك مقياس مشاعرك تجده يحدّق فيهما ثيو أي نوع من القلق على أولمبيا فسيعمد إلى التحقير الأمر. وبما أننا كنا نواجه مشكلة في التواصل بيننا، قررت الاحتفاظ بسر أولمبيا. وبينما كنا نناقش أفضل الطرق لطلاقها منه دخل غرفة النوم. لا أعلم حتى هذا اليوم كيف نجح في دخول الشقة لكن وجوده أكّد لي خروجه عن السيطرة كما سبق وأخبرتني.

لم تعد دومينيك قادرة على الجلوس أكثر في مكانها ودفعها الاضطراب للوقوف على قدميها. أحاطت جسمها بذراعيها.

- وهل تطرقت المحاكمة إلى الاعتداء؟

- كلا.

استدارت على عقبيها: «ماذا؟».

- خشيت أولمبيا أن يستغل محامي ثيو الأمر ضدّها وينعتها بالمرأة الفاجرة مع أن شخصيتها لا توحي بذلك. فشعرت بضرورة إبقاء الأمر سراً.

ارتعش جسم دومينيك غضباً وألماً: «وهكذا بقيت صامتاً وتحمّلت اتهامات ثيو الباطلة بالزنا أثناء المحاكمة؟».

نظر في عينيها: «لا بأس! كان بإمكاني تحمّل الأمر طالما أعرف الحقيقة وطالما أنت إلى جانبي».

اعترضت قائلة: «لكني لم أكن إلى جانبك! لقد هربت من قاعة المحكمة وهجرتك. لو كنت أعلم الحقيقة لما تركتك أبداً!».

غدت وتيرة تنفسها غير منتظمة!

- دومينيك...

رفعت يديها في الهواء: «كلا... لا ألقي اللوم عليك لكن أولمبيا

- الاعتداء...

ارتسمت تقطيبة على وجهه: «حدث الأمر في مرآب للسيارات في صباح أحد الأيام عندما كانت متوجهة لزيارة طبيب الأسنان. حين خرجت من العيادة قام أحدهم بسحبها إلى إحدى الزوايا والاعتداء عليها».

سرت قشعريرة في جسد دومينيك. إن كان الأمر صحيحاً، فلا يسعها أن ترى ما هو أكثر فظاعة.

- ما أن استجمعت قواها حتى صعدت إلى السيارة وذهبت إلى مستشفى أكروبوليس لإجراء فحص. قالوا إنهم سيتصلون بزوجها، لكنها توسلتهم ألا يفعلوا.

همست دومينيك تسأله: «واتصلت بك بدلاً من ذلك؟».

- أجل، كلانا يعلم السبب. كانت خائفة من ثيو ومن ردّ فعله. لكني كنت وسط اجتماع غاية في الاهمية ولم أتمكن من التحدث إليها أكثر. رتبت الأمور لتذهب إلى شقتي، وطلبت منها أن تنتظرني ريثما أعود. في الطريق إليها أدركت أن ثمة حلّ وحيد لمشكلتها، وهو أن تتحرر من زواجها. من المؤسف أنه لم يكن لديها أب أو أخ تلجأ إليه.

حدقت دومينيك في عيني زوجها وقالت: «لم تكن بحاجة لأي منهما لأنك دائماً بجانبها».

- لم يزعجني ذلك. كانت بمثابة أخت أخرى لي. لو حصل الأمر نفسه لماريس لكنت أقمت الأرض ولم أقعدها لحمايتها من الأذى.

- أفهمك عزيزي.

أخذ نفساً عميقاً: «عندما وصلت إلى الشقة وجدتها تبكي في السرير. ومع أنهم أعطوها مهدئاً في المستشفى إلّا أنها بقيت مرتعبة مما حصل معها. تحدثنا لوقت طويل. كانت تخشى ان يُلقي ثيو اللوم عليها لتعرضها للاعتداء ويثور غضباً فأرادت إبقاء الموضوع طي

الكتمان. خلال ذلك الحديث جعلتني أقسم على ألا اخبرك بالأمر، لأنك وثيو صديقان. وإن عرفت بشأن حادثة الاعتداء قد تقولين شيئاً يعرّض خططها للخطر ويمنعها من تركه. كنت أعلم أنك لن تفضحي سرّها إن طلبت منك كتمانه، لكن عيناك مقياس مشاعرك ولو لاحظ فيهما ثيو أي نوع من القلق على أولمبيا فسيعمد إلى التحقيق في الأمر. وبما أننا كنا نواجه مشكلة في التواصل بيننا، قررت الاحتفاظ بسر أولمبيا. وبينما كنا نناقش أفضل الطرق لطلاقها منه دخل غرفة النوم. لا أعلم حتى هذا اليوم كيف نجح في دخول الشقة لكن وجوده أكّد لي خروجه عن السيطرة كما سبق وأخبرتني.

لم تعد دومينيك قادرة على الجلوس أكثر في مكانها ودفعها الاضطراب للوقوف على قدميها. أحاطت جسمها بذراعيها.

- وهل تطرقت المحاكمة إلى الاعتداء؟

- كلا.

استدارت على عقبيها: «ماذا؟».

- خشيت أولمبيا أن يستغل محامي ثيو الأمر ضدّها وينعتها بالمرأة الفاجرة مع أن شخصيتها لا توحي بذلك. فشعرت بضرورة إبقاء الأمر سراً.

ارتعش جسم دومينيك غضباً وألماً: «وهكذا بقيت صامتاً وتحمّلت اتهامات ثيو الباطلة بالزنا أثناء المحاكمة؟».

نظر في عينيها: «لا بأس! كان بإمكاني تحمّل الأمر طالما أعرف الحقيقة وطالما أنت إلى جانبي».

اعترضت قائلة: «لكني لم أكن إلى جانبك! لقد هربت من قاعة المحكمة وهجرتك. لو كنت أعلم الحقيقة لما تركتك أبداً!».

غدت وتيرة تنفسها غير منتظمة!

- دومينيك...

رفعت يديها في الهواء: «كلا... لا ألقي اللوم عليك لكن أولمبيا

أخطأت بإجبارك على إخفاء سرٍّ كهذا عنّي. أنا آسفة لأن أولمبيا تعرّضت للاعتداء. لكن مهما بلغ ألمها لم يكن لديها في الحق أن تطلب منك ذلك».

أحرقت الحرارة وجنتيها: «سواء عمداً أم لا، استغلت أولمبيا طيبتك وسنوات الصداقة وتلاعبت بك وأوصلتك إلى حيث قطعت آخر خيط من التواصل بيننا».

مرّر أصابعه في شعره: «أقسم أني لن أخفي عنك شيئاً بعد اليوم».

لم يجعلها اعترافه تشعر بحال أفضل، لا سيما وأنها تعرف كيف تفكر أولمبيا.

- أنت تقول هذا الآن وأصدقك، لكن...

قاطعها وضمها إليه بقوة: «لكن لا شيء... سأقطع وعداً بأن كل ما تقوله يجب أن تقوله أمامنا نحن الإثنين. كل شيء من دون استثناء. لن يحدث ذلك مجدداً، أبداً».

تعلقت به دومينيك، لكن قلبها ظل يخفق بعنف لأنه لا يدرك مدى تأثير أولمبيا فيه.

عندما اعترف لها بكل هذا، أفصح من دون أن يدرك أنّ أولمبيا ستلجأ إليه مراراً وتكراراً في المستقبل لأنها واقعة في مشكلة.

لم يلاحظ ما لاحظته هي في الأفلام التي شاهدوها الليلة. لقد تطوّر إعجاب اولمبيا ليصبح هوساً. بعد أن عرفت ما عرفته، صار لاعتراف بول الصريح بعدم اهتمامه بأولمبيا معنى واضحاً.

حاول مرتين منذ وصولهما إلى اليونان أن يقول لها شيئاً لكنه لم يفعل. كانت تعلم أن الأمر يتعلّق بأولمبيا.

حين أخبرها في مكتبها في سراييفو أن أولمبيا على متن اليخت، ظنت أن بول يحاول إيذائها كما أذت أقرب صديق له. لكن ماذا لو كان ذلك تحذيراً؟

- دومينيك؟ لِمَ الصمت؟ إن كنت لا تصدقيني...

أفلتت من بين ذراعيه ببطء ورفعت نظرها إليه مصممة على ألا تدع عيناها تدمعان: «أجل، بالطبع أصدقك. في الواقع أنا أفكر في أختك. بدا واضحاً الليلة من الأفلام أن بول وماريس منجذبان جداً إلى بعضهما البعض. كلما ركزت الكاميرا على بول كنت تجده يحدّق فيها، وهي تجيب بضحكات ذات معنى ونظرات متلهّفة».

تأمل وجهها طويلاً: «لقد كبرنا معاً إلا أن أحدنا لم يعرب عن مشاعره للآخر».

أزاحت خصلات الشعر الناعم عن وجهها: «ألا تجده أمراً غريباً أن أحدهما لم يكن متزوجاً عند تعرّض ماريس للحادث؟».

صوت غاضب خرج من حنجرته: «بول شخص كتوم. معظم أصدقائنا لم يتزوجوا إلا في أواخر العشرينات أو بداية الثلاثينات. لم أفكر في الأمر قط. أما بالنسبة لماريس فلا أعتقد أن أياً من الذين واعدتهم من مستواها».

- هل قلت لها ذلك؟

- لم أعبّر عن رأيي غالباً. كنت أؤمن أن الرجل المناسب سيظهر في حياتها وسيتزوجان.

- شيء ما ينبئني أن بول هو ذاك الرجل.

ظهر ألم في عيني أندرياس: «إن كان هذا صحيحاً، فلا أعرف لما لم يقل لي شيئاً طوال تلك السنوات!».

- لعلّه خشي ردّ فعلك. ربما ظن أنك لن توافق؟

- مستحيل، فهو أفضل رجل عرفته.

- أخشى أنه آخر شخص يعلم ذلك.

لامس كتفيها بإلحاح: «هل أنت جادة؟».

- أجل. لم أعرف إلا مؤخراً كم هو طيب وخجول.

قال زوجها غير مصدّق: «بول؟».

- أجل، إنه يخفي ذلك وراء قناع من الصلابة لكني لاحظت طيبته

وهو يداعب آري.

- لا يجد أي مشكلة في الخروج مع النساء.

همست تقول: «إلا المرأة التي يريد».

زمجر أندرياس.

- عزيزي، هل تتذكر يوم دخلت الغرفة في الفيلا وأغظته بالقول إن لديه الكثير من المواهب الخفية؟

- وماذا عن ذلك؟

- أشاح بوجهه عنك لئلا تراه لكن وجهه غدا أحمر لأنك ألقيت القبض عليه في لحظة حنان مع الطفل. كشف ذلك الكثير من نواحي شخصيته. لقد رأيت ناحية جديدة لم أكن أدرك وجودها. أراهن على أنه عاش بتكتم فترة حداد على موت ماريس ولم يعلم أحد بالأمر. الليلة بينما كنا نشاهد الافلام، راقبت وجهه. كانت عيناه مسمّرتين على ماريس طوال الوقت.

تمتم أندرياس بصوت معذّب: «كان يجدر به أن يخبرني».

- حصل ذلك منذ زمن بعيد وما كان بإمكانك فعل أي شيء. لكن يمكنك أن تسأله يوماً عن هذا الكلام، فلعل هذا يخفف عنه حملاً ثقيلاً ويريحه. سرّ أولمبيا فتح هوة كبيرة بيننا، لعل كتمانه للسرّ حرمه من سعادة كبرى مع ماريس. كانت هذه الامسية مفيدة لوالديك لكني أشعر بأن بول غادر مغموماً.

حدّق فيها طويلاً وسأل: «ما الأمور الاخرى التي لاحظتها زوجتي الذكية ولم ألاحظها أنا؟».

اعترفت بصوت مرتعش: «رأيت صبياً وسيماً كبر ليصبح رجلاً رائعاً لا أصدق أنه أصبح لي».

رفع أندرياس وجهها ونظر في عينيها قائلاً: «أحبك دومينيك. أنت حياتي. أحتاجك حبيبتي الآن أكثر من أي وقت مضى».

كم انتظرت لسماع هذه الكلمات وأدركت أنه يعنيها تماماً.

صباح يوم الإثنين غادرت دومينيك مكتب أستاذها في جامعة أثينا محمّلة بكومة من الأوراق للقيام بفروضها، واستقلت سيارة أجرة إلى مستشفى أكروبوليس حيث رتبت لقاء مع رئيس المتطوعين للتحدث عن مشروعها الجديد.

أثناء سهرة أقاماها مساء السبت، فاجأها زوجها بالإعلان عن أنها ستترأس مؤسسة لمرضى السرطان. كانت تلك طريقته ليدعها تعلم انه يدعمها على الرغم من أنه لا يزال يجد صعوبة في التعامل مع الأمر مباشرة.

ما من شيء يثير حماستها أكثر، وزواجهما سينجح. كانت واثقة من ذلك تماماً. لكن ثمة شخص عليها التحدث إليه.

قبل أن تغادر المستشفى، اتصلت ببول وطلبت منه أن يوافيها لتناول الغداء معاً. لا بد أنه شعر بأهمية الأمر لأنه لم يتردد في ملاقاتها إلى مقهى صغير بالقرب من المستشفى.

بعد أن أتى النادل طلبا السلطة وقال لها: «شكراً لأنك دعوتني تلك الليلة. أنت طاهية ممتازة».

ابتسمت: «لم أكن أعتقد ذلك».

وحدّقت فيه مضيفة: «هل تعلم أن أولمبيا تعرضت لاعتداء، يا بول؟».

لم يدم الصمت بينهما طويلاً وقال في النهاية: «لم أعلم بهذا الشأن إلا بعد أشهر من رحيلك إلى سرابيفو!».

- لقد اخفى زوجي السر عنك أيضاً؟

- أشك في أنه كان ينوي إخباري أصلاً، لكننا تجادلنا بشأنك فنطق أخيراً.

- تجادلتما بشأني؟

- أجل قلت له إنه أحمق لأنه لم يلحق بك ويتوسل إليك كي تعودي إليه. كان غاضباً جداً في ذلك الوقت وقال إن لم يكن لديك

ما يكفي من الثقة به وبحبه لك وقد فات الأوان على إنقاذ زواجكما. حينئذ أخبرته أني لو كنت مكانك لتركته وهربت أيضاً. نقاش أدى إلى آخر. وتبادلنا العديد من الشتائم قبل أن يعترف أخيراً أن ثمة أموراً لا أعرفها اضطر لإخفائها عنك. وحين أخبرني عن قصة الاعتداء قلت له إنه أحمق كي يصدق ما تقوله أولمبيا.

طرفت دومينيك بعينيها: «إذن، انت لا تصدق قصة الاعتداء هذه؟».

- وهل تفعلين؟

- بصراحة، لا.

- اتفقنا. فكري في الأمر، ولقد أجبرته على أن يكتم السرّ ولم تخبر ثيو بالأمر، ورفضت أن تثير الحادثة أمام المحاكمة. كانت كذبة محكمة. وضعت أندرياس في قفص يصعب الخروج منه مدركة أن الأمر سيلقي بظلاله الثقيلة عليك.

- أنت محق.

- سألت أندرياس ما إذا كان قد تحقق من الأمر في المستشفى فقال إنه ليس مضطراً لذلك وأن أولمبيا لن تختلق كذبة كهذه.

هزت رأسها قائلة: «آه، بول».

- حين أيقنت أنه يصدق الأمر تماماً، أدركت أنه لا يسعني فعل أي شيء.

عضت شفتها وقالت: «حاولت أن تحذرني حين أتيت إلى اليخت، أليس كذلك؟».

أومأ بول.

- أفلام الفيديو أظهرت الأمور بوضوح لكني أخشى أن زوجي لا يدرك مدى هوسها به.

تمتم بول: «أعلم. إنها تكرهني لأني كشفت أمرها منذ زمن بعيد، وهي تتجنبني قدر المستطاع. لا بد أنها انزعجت حين أدركت أنك

دعوتني على العشاء فذلك يعني أني سأراقبها وأكشف أي الاعيب تنوي لعبها».

دفنت رأسها بين يديها: «لن ترحل وتتركنا. لا أعلم ما عساي أفعل. منذ عودتي إلى اليونان قررت أن ألعب لعبتها، لقد وعدني أندرياس تلك الليلة ألا يخفي شيئاً عني مجدداً».

- إنه يعني ما يقول.

- أعرف ولكن...

- لكنك لا تثقين بأولمبيا مثلي تماماً. فهي من استغل ثيو وليس العكس. إن أردت رأيي، لقد خططت لكي يجدهما ثيو معاً هي وأندرياس.

- السبب الوحيد لزواجها منه هو الحصول على مزيد من الأمان.

- هذا ما قاله ثيو أيضاً.

- أتصور أنه لم يحتج لوقت طويل ليدرك أنها كانت تستغله. السيدة كوستاس تتقاضى أجراً ثابتاً. وبما أن صحتها تتراجع تدريجياً، قررت أولمبيا أنها بحاجة لمن يدفع الفواتير الطبية إن احتاجت لمزيد من العلاج. لا تملك أولمبيا أي ضمير. حين لم يتجاوب أندرياس مع رغبتها، تزوجت من ثيو لكنها حرصت على ألا يتغيّر شيء في علاقتها بأندرياس. لم يمض وقت طويل قبل أن يلتقي بك ويقع في حبك. أستطيع أن أجزم أنها كادت تموت غيظاً وحسداً، وحاولت اختلاق المشاكل قبل زواجكما وبعده.

فكرت دومينيك في ما قاله لبضع لحظات: «لم أشأ أن أصدق أنها بهذه القسوة، لكني أحياناً..».

- إنها شخص خطير. لكن أندرياس لا يهتم إلّا لأمرك مهما فعلت. اعتقد أنها تعمّدت أن تغيظ ثيو بحيث لا يطلقها فحسب بل يرفع قضية زنا ضدهما. كانت مستعدة لفعل أي شيء مشين بحيث لا يخضع ثيو لشروطها وحسب بل يقطع أيّ صلة بها.

قالت دومينيك بنبرة حزينة: «لقد حققت مبتغاها . اعلم أني زرت ثيو في مكتبه؟».

- متى؟

- يوم قدمنا بالطائرة إلى أثينا بعد مغادرة زاكينثوس. أخبرني أنه تخلى عن حقوقه كأب.

- لا يسعني القول إني ألومه. إن محاولة ترتيب مواعيد زيارات مع امرأة كهذه جحيم على الأرض.

- يا للمسكين آري! إنه ظريف وبريء.

- نعم هذا مؤسف لكن أولمبيا ليست شخصاً طبيعياً.

- هذا ما قاله أندرياس عن ثيو.

- لان أندرياس أعمى حين يتعلق الأمر بأولمبيا. لطالما عرفت كيف تلعب دور الضحية، وقد استغلت ماريس للوصول إليه.

- بأي طريقة؟

- لطالما أطلقت تعليقات عن أن ماريس محظوظة لأن لديها أباً وأماً وأخاً يهتمون لأمرها. كانت أولمبيا تعلم ما الذي تفعله تماماً. كانت تراوغ وتحتال مع أندرياس ومن ثم مع ثيو ليطلب يدها. لكن ما إن سئمت منه حتى عرفت كيف تتخلص منه.

الصورة التي رسمها بول أعطت معنى فظيعاً للأحداث لكنها طرقت مكمناً جديداً للخوف في قلب دومينيك.

سألها بول: «هل تستطيعين التفكير في طريقة أفضل من المحكمة؟ لا سيما وأن أندرياس يشعر بالأسف حيالها بسبب الاعتداء. كانت تعلم أن أندرياس سيهتم بها تخلى ثيو عنها».

ارتعشت دومينيك: «أخشى أنه سيفعل دوماً».

- اولمبيا زرعت البذور باكراً فتجذّرت في الأرض. يجب أن نواجه أندرياس بإثبات يؤكد أنها كذبت عليه بشأن حادثة الاعتداء لنزيل الغشاء عن عينيه.

تنهدت وقالت: «هذا أقرب إلى المستحيل، بول. زوجي من النوع الذي يقول يؤمن ببراءة المتهم حتى تثبت إدانته. لا أريد أن أصدق كل هذه الفظاعات عن أولمبيا، لكني حين تحدّثت إلى ثيو أنكر أنه قال بعض الأمور التي نُقلت إليّ عن لسانه ونعتها بالكاذبة».

- لا يفاجئني ذلك. أشعر فعلاً بالأسف حياله. لكن أتعلمين ما أكثر ما يخيفني؟

طرفت بعينيها لتمنع دموعها من الانهمار: «ماذا؟».

- أول مرّة التقيتك فيها خشيت أن تسحقك تماماً. لم أرَ في حياتي رجلاً يُغرم بامرأة كما أغرم هو بك. لم يعد مطلقاً كما تعرفه أولمبيا وكرهتك لذلك. كنت أعلم أنها ستسبب المشاكل. كان اندرياس سعيداً جداً، عاشقاً جداً. فتخلى تماماً عن أولمبيا.

- كان يقول لي مراراً وتكراراً إنها لا تعني له أكثر من مجرّد صديقة حميمة لأخته.

أومأ بول: «كان يفترض أنها سعيدة في زواجها من ثيو. لم يدرك إلى أي مدى انهارت عندما تزوج. ولم يدرك خططها حين نجحت في جعلك تدعينها هي وزوجها ثيو إلى اليخت لتمضية عطلات الأسبوع معاً. كنتما تمضيان شهر عسلكما لكنها استغلت طيبتك دومينيك. كانت تعلم أنك قد تفعلين أي شيء لإرضاء أندرياس. كانت تتلاعب بالجميع».

أخذت نفساً عميقاً: «ليس بعد اليوم».

مدّ بول يده واعتصر يدها: «أنا مسرور لذلك. أنت أفضل ما حدث لأندرياس. لا يمكن أن تعرفي مدى دهشتي عندما علمت أنك ستعودين إلى اليونان معي. شعرت في قرارة نفسي أنك ستحاولين إنقاذ زواجك».

- أنا أحبه كثيراً.

ابتسم وقال: «هذا واضح».

- شكراً لأنك صديقي. لا أستغرب أن يحبك أندرياس إلى هذا الحد بعد أن اكتشفت السبب الآن. لن ندع أولمبيا تتغلب علينا.

- هل ستواجهينها؟

ضاقت عيناها وهي تنظر إليه: «إن أجبرتني على ذلك. أمر واحد أكيد: لن يكون هناك المزيد من الأسرار».

- هل ستخبرين أندرياس أننا تناولنا طعام الغداء معاً؟

- بالطبع. كنت آمل أن أعود معك إلى المكتب وأفاجئه.

بدا عليه الارتياح، وهمّ بدفع الفاتورة لكنها وضعت المال على الطاولة: «كلا، أنا دعوتك، دعنا نذهب».

ساعدها بول على النهوض قائلاً: «أعرف الرئيس. سيسرّ لرؤيتك. لم تفعلي شيئاً كهذا من قبل».

- ثمة أمور كثيرة لم أفعلها من قبل. لا أعرف كيف دام زواجنا أربعة أشهر كاملة.

تمتم: «بل تعلمين. أنت وأندرياس مشاعركما حقيقية».

كان بول رائعاً.

طلب سيارة أجرة ولم يطل بهما الأمر حتى وصلا إلى المبنى وأخذا المصعد إلى الطابق الأخير.

شعرت دومينيك بقلبها يخفق سريعاً وهي تنظر في أنحاء المكان. كانت المكاتب مضيئة وعصرية. يحب أندرياس نور الشمس كثيراً.

حين دخلا مكتبه، وجداه يقف قرب النافذة يتكلم في الهاتف.

كانت قد تعمّدت ارتداء ثوب أصفر باهت تعلوه سترة أحبهما أندرياس كثيراً حين تسوّقا معاً.

أرادته أن يرغب فيها وهي تدخل مكتبه من دون إنذار سابق. حين رآها أشرق وجهه بابتسامة فبدا أكثر وسامة، وأنهى حديثه بسرعة وأقفل الخط.

- تبدوان كمتآمرين شريرين. ما الذي يجري؟

- اصطحبت بول لتناول الغداء.

- من دوني؟

قالت بنبرة واضحة: «إنه تعبير خاص عن شكري له لأنه اصطحبني من سراييفو في مهمة فظيعة تقضي بإنقاذنا من الدمار. كان بول صديقاً حقيقياً لكلينا وأنا ممتنة له».

تمتم أندرياس يقول: «وأنا أيضاً».

عاد وجه بول يحمرّ خجلاً.

وضعت علبة على الطاولة قائلة: «هذه لك عزيزي. جلبت لك بعض الكعك للتحلية. اشتريته لي لكنني قررت إعطاءك إياه. عليّ الانضمام إلى نادٍ رياضي لأكون جاهزة لخوض الماراتون».

- لدينا نادٍ رياضي في الطابق الثالث من المبنى. تمرّني بقدر ما شئت وسأنضم إليك حين أستطيع.

- يسرّني ذلك.

- وأنا أيضاً.

أخرج كعكة من العلبة وبدأ يلتهمها.

نظر بول إليهما مستمتعاً وقال: «لديّ عملٌ ينتظرني. أراكما لاحقاً».

ثم غادر المكتب وأقفل الباب وراءه.

جالت نظرات أندرياس على وجهها بحميمية فكاد قلبها يتوقف عن الخفقان وهمس: «ما الذي تفعلينه هنا؟ لن يكون لدينا ما يكفي من الوقت فلديّ اجتماع هام».

وضعت أغراضها على الطاولة وهرعت إليه فعانقها بقوّة. قالت له: «ستتأخر على اجتماعك».

- أنت كل ما يهمني. لعلني أستطيع الآن أن أحتمل ما تبقى من النهار.

طوقت وسطه بقوة: «أندرياس. أحبك كثيراً حيث بالكاد أستطيع

أن أتنفس وأنت تضمني إليك. حين أفكر في العام الذي أمضيناه بعيدين..».

- أظن أنك بدأت تفهمين كيف كان شعوري. هل لديك فكرة كم مرّة وقفت عند هذه النوافذ أنظر إلى المدينة متمنياً أن تقتحمي مكتبي وتقولي لي إنك عدت لتبقي؟

- لطالما أردت ذلك حبيبي. كل دقيقة أمضيتها بعيداً عنك كانت عذاباً بالنسبة لي.

ضمها إليه بقوة أكبر وقال: «حين أرسلت إليك بول مع الأوراق تمنيت أن ترميها في وجهه. لكنك فعلت ما هو أروع من ذلك. عدت إلى الديار برفقته».

قبلت الغمازة في ذقنه وقالت: «أجل، لكنك سرعان ما طلبت مني أن أوقعها لأنك لا تريد رؤيتي مجدداً. كنت أعرف السبب وجاء دوري كي أشعر بالرعب من أن تكون فعلاً تعني ما قلته وألا تلحق بي إلى زاكينثوس. أشكر السماء لأنك فعلت!».

قبّلها بشغف وكادت دومينيك تنسى أين هما...

ابتعدت عنه أخيراً قائلة: «اتمنى لو نستطيع العودة إلى المنزل الآن، لكني أعلم أن لديك اجتماعاً وعليّ أن أرحل».

- ليس بهذه السرعة. أخبريني كيف هو أستاذ اللغة.

أجابته مباشرة: «إنه شاب ووسيم وأعزب».

زمجر: «أيتها الشقية الصغيرة، أقصد كيف سارت أحداث الأمور في الدرس الأول؟».

- حسناً، أستطيع أن أقول بضع كلمات باليونانية وأنا أعرف معناها كلها، أتريد أن تجري لي اختباراً؟

ضحك بأعلى صوته قبل أن يسمع رنين الهاتف الداخلي وصوت سكرتيرته يقول: «كيري ستاماتاكيس؟».

- هل الكل في قاعة الاجتماعات؟

- عدا السيد «كازاريان». اتصل للتو ليعلمني أنه في طريقه إلى هنا من المصرف.

- أعلميني حين يصل.

- بالطبع. لديك اتصال على الخط الثاني. إنه من أولمبيا بانوس. تقول إن الأمر طارئ.

www.elromancia.com

٨ ــ أشباح الماضي

وكأن غيمة ما حجبت نور الشمس إذ بهتت ابتسامة أندرياس وتبخرت سعادة دومينيك.

- يجب أن تجيب على الاتصال حبيبي.

أفلتت من بين ذراعيه وجلست أمامه على المكتب تتساءل عن الأمر الملحّ الذي دفع أولمبيا لمقاطعة أندرياس في مكتبه خلال نهار عمل كهذا.

لِمَ لم تتصل به على هاتفه الخلوي؟ هل خشيت ألا يجيبها أندرياس؟ أم أنها تعمّدت أن تطلب المكتب فتجيبها السكرتيرة وتحوّل المكالمة إلى أندرياس فوراً؟

بعد حديثها مع بول، أبقت دومينيك أذنيها مفتوحتين.

رفع أندرياس سماعة الهاتف. مهما كان ما تريده لم يدم الحديث مطوّلاً. فبعد أن قال لها إنه سيحلّ المسألة، أقفل الخط وبدا عليه القلق.

- ما الخطب؟

- عمّة أولمبيا تعاني من ألم مبرح، ويريد طبيبها أن يراها في عيادته. إن كانت أولمبيا ستأخذها بسيارتها فستحتاج لمن يساعدها في حمل آري والاهتمام به. سأرسل لها بول؟

- ألا تحتاجه للاجتماع؟

- سأطلب من سكرتيرتي أن تدوّن الملاحظات.

- أندرياس، تعني أن أولمبيا ليس لديها حاضنة تهتم بطفلها

وتستدعيها في حالات الطوارئ؟

يا له من عذر مناسب للبقاء معاً، بحيث يضطر أندرياس لأن يترك كل ما بين يديه ويهرع لمساعدتها.

- عمة أولمبيا تهتم بالطفل عند الحاجة.

- حسناً، أنا حرّة لبقية النهار. اتصل بسائقك ليأخذني إلى شقتها حالاً. يمكنك الانضمام إلينا حين تنهي عملك. كيف يبدو لك هذا؟

- ألا تمانعين؟

- طبعاً لا. أنا أتحرّق شوقاً لضم آري ومداعبته.

ابتسم يقول: «لقد أنقذتني».

- ها قد سوّي الأمر، أعطني العنوان.

دوّن العنوان على ورقة صغيرة وسلمها إياها مع قبلة عميقة سريعة: «سأمر بكم لاحقاً».

- لا يسعني الانتظار!

جمعت أغراضها عن الطاولة ورافقها إلى المصعد حيث طبع قبلة أخرى على خدها قبل أن يغلق الباب.

حين خرجت من المبنى كانت سيارة الليموزين بانتظارها فأعطت الورقة للسائق وجلست في المقعد الخلفي وانطلقا.

كانت زحمة السير خانقة عند ساعة الغداء فأسندت رأسها إلى الخلف ممتنة لأن شخصاً آخر يقود السيارة.

وصلا في أقل من عشر دقائق إلى منطقة سكنية حديثة. فأوقف السائق السيارة أمام مبنى مؤلف من أربع طبقات.

شكرت السائق ودخلت المبنى على عجل. ثم ضغطت الزر المناسب وانتظرت المصعد. وفي أقل من دقيقة خرجت من المصعد. كان أندرياس قد أخبرها أنه الباب الثاني إلى اليسار. قرعت جرس الباب وانتظرت. فتحت لها أولمبيا الباب بعد ثوان معدودة وانطلقت صرخة دهشة من حلقها لرؤية دومينيك تقف في الباب.

- أين أندرياس؟

- لديه اجتماع هام بعد ظهر هذا اليوم، أولمبيا. ما كان يجدر بك الاتصال به. بما أن لديك طفلاً فتحتاجين لحاضنة تتصلين بها عند الضرورة. كنت في مكتب أندرياس حين اتصلت فعرضت عليه أن آتي بنفسي للاهتمام بآري.

أجابتها أولمبيا من دون أن تظهر أدنى حرج: «يصعب إيجاد حاضنات يمكن الوثوق بهن هذه الأيام».

- أخشى أن عليك أن تجدي واحدة.

- آري لا يحب الغرباء.

- ما من طفل يحبهم لكن ثمة المئات من الأمهات العازبات اللواتي ينجحن في الحصول على المساعدة. أنا واثقة من أنك ستنجحين حين تحاولين. لكني هنا الآن ويمكنني أن آخذكم جميعاً إلى العيادة أو يمكن أن أبقى مع آري بينما تذهبين مع عمتك إن كنت تفضلّين.

من الواضح أن أولمبيا لم تخطط لسير الأمور على هذا النحو.

- آري يبكي معك.

- امنحيني بعض الوقت معه وسيكون بخير.

- لا أعلم...

- لا تقلقي أرجوك. أعدك اني سأفعل كل ما في وسعي حتى تعوديني.

- أدخلي إذاً.

لحقتها دومينيك إلى غرفة الجلوس حيث كانت عمتها تجلس على حافة الكرسي وهي تتنفس بصعوبة. كانت هذه المرة الثانية التي تلتقيها فيها.

- مرحباً، سيدة كوستاس، أتذكرينني؟

- أجل.

- آسفة لأنك لست بخير. أتيت من أجل الاعتناء بآري.

- هذا لطف كبير منك. شكراً لك.

- على الرحب والسعة.

أسرعت أولمبيا في العودة إلى غرفة الجلوس وقالت: «قنينة الحليب في البراد. سيستيقظ بعد ساعة ونصف ثم يلعب قليلاً. إن لم يكن وضع عمتي خطيراً، فسأعود عند موعد إعطائه القنينة الثانية أيّ حوالى الساعة الخامسة».

- إذهبي ولا تقلقي. إن احتجت لأن أبقى الليلة فسأفعل.

تمتمت عمتها مجدداً تقول: «شكراً لك».

أما أولمبيا فلم تقل شيئاً.

رافقتهما إلى الباب ثم عادت على رؤوس أصابعها نحو الغرفة حيث ينام آري كملاك بشعر أسود.

عادت إلى غرفة الجلوس وهي تفكر أن الوقت مناسب لتحضّر فرضها لليوم التالي. توجّهت إلى المطبخ حيث رأت طاولة صغيرة يمكنها استخدامها.

وبعد حوالى خمس وأربعين دقيقة بدأ آري يبكي. فهبّت من مكانها لتضع قنينته في وعاء من الماء الساخنة ثم أسرعت إلى غرفته وهي تنادي باسمه لينتبه إلى وجود شخص غريب في المنزل.

أخذ يبكي بحدّة أكبر حين رآها. لكن بعد أن حملته ومشت به في أرجاء الشقة وهي تربت على ظهره وتدندن له بعض الأغاني هدأ. كانت شفته السفلى ترتعش لكنها حين بدأت بإطعامه أخذ يلتهم الحليب بسرور. وما أن انتهى من الأكل حتى نثرت ألعابه أمامه فراح يركلها، ويحاول التقاطها بين يديه.

كان ظريفاً جداً.

- أنت تشوقني للإنجاب آري. أتعلم ذلك؟

أخذت دومينيك تداعب بطنه الصغير فراح يبتسم لها حتى أنه ضحك مرّة.

آلمها التفكير في أمه. كانت أولمبيا تعاني من مشاكل، وإن لم تحصل على مساعدة متخصصة لتتخلص من هوسها بأندرياس فحالتها ستزداد سوءاً. لا ينبغي بآري أن يكبر مع أم تعاني من هذا القدر من المشاكل. كان منزلها مرتباً ونظيفاً وطفلها رائعاً. وهي نفسها امرأة رائعة الجمال. من ينظر إلى المشهد من بعيد لا يرى فيه أي خطب.

لم يكن أندرياس قادراً على رؤية الخطب طبعاً.

كان معتاداً جداً على مساندتها كما يفعل أي أخ لأخته بحيث قد يترك عمله ويحضر لمساعدتها. لا يمكن لهذا الوضع أن يستمرّ.

لن تسمح دومينيك لهذا الوضع أن يستمر وإلا سيتدمر زواجها. وانقضى النهار بأكمله من دون أن تتصل أولمبيا. وسخنت دومينيك قنينة الحليب الثانية وبدأت تطعم الطفل. وفيما كانت تحمله ليتجشأ سمعت جرس الباب يرن.

مشت نحو الباب ونظرت من المنظار لترى من الطارق. وتسارعت دقات قلبها حين رأت أندرياس لكنها تعمّدت أن تسأل: «من الطارق؟».

- سيدك ومولاك.

- هل أنت واثق؟ فسيدي ومولاي يفترض أن يكون في المكتب.

- غادره باكراً.

- وكيف ذلك؟

- لأنه أراد أن يكون مع زوجته.

- حسناً، في هذه الحالة...

فتحت له الباب فاندفع يعانق كليهما. حين رأى آري من في الباب، أشرق وجهه ومدّ يده نحوه.

كشّرت دومينيك وقالت: «أشعر بالغيرة فأنا أهتم به طوال فترة بعد الظهر وها هو يريدك أنت».

قبّل أندرياس وجنتيه: «نحن صديقان، أليس كذلك آري؟».

- أحبّه كثيراً. إنه يثير فيّ الرغبة في الحصول على طفل لي. بالكاد أطيق الانتظار.

- ما أن تعود أولمبيا حتى نعود إلى المنزل وأحاول جهدي لتلبية رغباتك. وفقاً لحساباتي يفترض أنك في فترة خصوبة الآن.

- آمل أن أكون كذلك.

- ما الذي فعلته أيضاً بعد ظهر اليوم؟

- درست قليلاً لكني لم أنجز الكثير منذ أن استيقظ آري.

- دعينا نلقي نظرة على ما فعلته.

مشيا إلى المطبخ وحبست أنفاسها بينما هو يراجع ما أنجزته من فروض.

حين رفع رأسه كانت عيناه تشرقان فرحاً: «ما من غلطة واحدة. لقد تأثرت كثيراً. أحسنت».

ورفع أحد حاجبيه مضيفاً: «أعرف أميركيين عاشوا هنا لسنوات. لعلهم يتكلمون اللغة بطلاقة لكنهم لا يجيدون كتابتها».

لطالما رفع معنوياتها: «كيف سار الاجتماع؟».

لاحظت طيف انتصار في عينيه: «بشكل رائع».

- جيد، أيعني هذا أنه سيكون لدينا سقف فوق رأسينا ليوم آخر؟

ضحك كلاهما لتعليقها. و على هذا الحال وجدتهما أولمبيا حين دخلت المطبخ.

قالت لها دومينيك: «أولمبيا، كيف حال عمتك؟».

كانت عينا المرأة الأخرى مركّزتين على أندرياس على الرغم من أن آري راح يصرخ لتحمله أمه.

- إنها تعاني من ذات الجنب، لكن الطبيب قال إنها ستكون بخير. طلبت منها أن تذهب وتستلقي لترتاح.

تمتم أندرياس يقول: «يسرني أنه ليس أمراً خطيراً».

أعطت دومينيك الطفل لأمه: «كانت جدتي تعاني الأمر نفسه. إنه

مؤلم جداً لكن إن انتبهت لنفسها، فستشفى».

قالت متجاهلة كلام دومينيك: «أرجو ألّا يكون آري قد بكي طوال الوقت».

- كلا، بكى قليلاً عندما رآني في البداية لكن الأمور سارت على ما يرام بعدئذ. وقد شرب قنينتي الحليب.

- شكراً لك.

- سررت للاهتمام به. إنه طفل رائع وأستطيع أن أقول إنك أم رائعة كذلك.

شدّد أندرياس: «أنت فعلاً كذلك أولمبيا. أنت تتدبرين أمرك أفضل مما تفعل معظم النساء المتزوجات».

مع أن أندرياس لم يقصد أي سوء، إلّا أن دومينيك تخيلت كيف امتعضت أولمبيا من الداخل لكلامه.

- أعذراني، سأحضر أغراضي من المطبخ.

خرجت وتركتهما يتحدثان. عادت بعد لحظات وانتظرته عند المدخل. خطوة جبارة يجب أن تحصل ليتغيّر الوضع لكن لم تخطر لها أي أفكار حالياً. وما هي إلّا دقائق حتى غادرا إلى المنزل.

اعتصر يدها وقال: «هلّا نطلب طعاماً جاهزاً نتناوله في السرير؟».

- يبدو هذا رائعاً.

ضمها إليه وطبع قبلة على عنقها: «كنت رائعة لاهتمامك بآري اليوم. أدرك أن أولمبيا لا تجيد التعبير عن مشاعرها لكني أعلم أنها تقدر ما فعلت».

- لقد شكرتني. لكن دعنا نواجه الأمر أندرياس. بما أن عمتها غالباً ما تصاب بالمرض، لا يمكنها أن تتوقع منك أو من بول حلّ مشاكلها.

- لا أنوي ذلك. أنا أفكر في توظيف أحدهم ليساعدها في تربية الطفل بشكل دائم.

لم تستطع أن تمنع نفسها من السؤال: «وهل تظن هذا عملاً حكيماً؟».

- ما الذي تقصدينه؟

- ألا ترى أنها تعتمد عليك كثيراً؟ كلّما لبّيت لها حاجة تطلب منك أمراً آخر. إن كانت أولمبيا ستنجح في حياتها يوماً، فعليها أن تحلّ مشاكلها بنفسها لتصبح قوية.

- إنها لا تتمتع بقوتك الداخلية دومينيك.

- أندرياس، طالما أنها تجد شخصاً يحرص على أن يرفعها لحظة تتعثر فلن تحظى بفرصة للاعتماد على نفسها.

- لكنها تحتاج لمن يساعدها بوجود عمّة مريضة وطفل.

كان بول محقاً، لقد لعبت أولمبيا دور الضحية لوقت طويل بحيث لم يعد أندرياس يدرك إلى أي مدى هو مستسلم لها.

لم تفتح موضوع أولمبيا إلّا بعد أن تناولا الطعام والتحلية في السرير. عندما انتهت فترة الأخبار لم يبدِ أندرياس أي اهتمام بأي برنامج آخر. وأطفأ التلفزيون ورفع الصينية من أمامها.

ابتسم لها فشعرت بقلبها يذوب: «لا نريد حوادث كتلك التي حصلت المرّة الماضية».

ضحكت: «كلا، لا نريد ذلك».

قال وهو يتسلل تحت الأغطية: «إني أنتظر هذه اللحظة منذ غادرت مكتبي».

أخذ يفرك ذراعها. وهي عادة ما تقترب منه حين يفعل ذلك لكنها قررت أولاً أن يتحدثا عن أولمبيا. لا يمكن للوضع الحالي أن يستمر. مناقشة الأمر مع بول منحتها الشجاعة.

- حبيبي؟

- ماذا؟

- هل يمكن أن نتحدث قليلاً؟

- بالطبع.

وأسند رأسه بيده قائلاً: «أستطيع أن أقول إن ثمة أمر مهم يشغل بالك».

- أود أن أخبرك بشأن الحديث الذي دار بيني وبين بول اليوم.

- يمكنني القول إنه كان حديثاً طويلاً.

- ليس حقاً. هل تذكر وعدنا بألّا يحتفظ أيّ منّا بأي أسرار لنفسه؟

- ما الأمر؟

- أعني أي أسرار مهما كان نوعها؟

أوقف حركة يده وألقاها ببساطة على مرفقها: «يبدو هذا خطيراً».

- إنه كذلك. خطير جداً. أعتقد أن زواجنا محكوم بالفشل إن لم نعالج إحدى المسائل فوراً.

أصدر صوتاً معترضاً.

- أدرك أنك لا تريد الحديث في الموضوع لكن علينا أن نفعل.

- بحق السماء دومينيك، قولي ما تريدين قوله.

ونهض من السرير وارتدى العباءة الموجودة على طرفه.

- الأمر ليس سهلاً. ها قد اتخذت وضعية الدفاع وأنا أتكلم بعد.

ردّ بقسوة: «قلت إنّ زواجنا محكوم بالفشل».

- فقط، إن لم نحل قضية عالقة تواجهنا منذ أن التقينا للمرة الأولى.

أخذ نفساً عميقاً وقال:

- أنا أصغي إليك.

- أولمبيا واقعة في حبك.

- سبق أن ناقشنا الأمر.

- بول يعتقد أن أولمبيا تكذب بشأن حادثة الاعتداء وأنا أميل لموافقته الرأي.

- أعطني سبباً واحداً يجعلك تصدقين ذلك أيضاً!

- لأنها مهووسة بك منذ سنوات. إنه أمر لن تتخطاه إلا عبر مساعدة أخصائي.

- أنت وبول تعتقدان أنها بحاجة لطبيب نفسي.

- أجل.

أطلق شتيمة غاضبة.

- عزيزي، لا أعلم إن كان بإمكانك ذلك، لكني أتمنى لو تستطيع النظر إلى ما حصل اليوم بطريقة موضوعية. شابة جميلة وأمّ مطلّقة ليست زوجتك أو أحد أفراد العائلة اتصلت بك في مكتبك وأنت رجل أعمال مهم تحاول إصلاح علاقتك بزوجتك. وهي تعلم هذا كله ومع ذلك تطلب منك أن تترك ما بين يديك لإنقاذها. لم تتصل بزوجتك وهي لم تحاول هذا حتى.

لم تستطع دومينيك أن تجزم ما إذا كان يصغي أم لا إنما عليها المحاولة.

- أريدك أن تفكر في كافة رجال الأعمال المتزوجين الذين أتوا إلى الحفلة تلك الليلة. كم واحد منهم تتصل به أم مطلقة جميلة أثناء إجرائهم صفقات تجارية هامة وتطلب منهم تنفيذ رغباتها من دون علم الزوجة؟

- لا يسعني أن أكون موضوعياً حيال ذلك يا دومينيك. إنها صديقة العائلة.

- صديقة رفعتها إلى مستوى الأخت لكن هذا لا يكفيها لأنها تريد أن تكون زوجتك! وبما أن ذلك مستحيل فإنها تحاول خلق أي علاقة تبقيها في حياتك! لقد تخلصت من ثيو وكادت تتخلص مني أيضاً! لكني عدت إلى اليونان من أجل إنجاح زواجي وها هي تلجأ إلى استراتيجيات جديدة!

- أعطني مثالاً واحداً.

- حسناً، أود أولاً أن أعرف أمراً ما. هل دعوت عمتها حين أخبرتها أن اليخت والفيلا في زاكينثوس تحت تصرّفها؟

- بالطبع.

- إذاً، كيف يُعقل ألا تكون السيدة كوستاس هناك عند وصولي إلى اليخت؟

- أخبرتني أولمبيا أن عمتها تودّ قضاء بعض الوقت مع ابن اخ لها.

- وهل لعمتها إبن أخ؟

- أجل. هو متزوج ولديه أولاد.

- هذه أخبار جديدة بالنسبة إليّ. وأين يعيش؟

- في أثينا.

- من المثير للاهتمام أن تتصل أولمبيا بك أنت لتساعدها مع عمتها في حين أن ثمة ابن أخ لها يعيش في مكان قريب.

- بالكاد يستطيع المساعدة.

- وأنى لك أن تعرف؟ هل تكلمت إليه شخصياً؟

كان صمت زوجها مدوّياً!

- قل لي أمراً آخر. كم كان يُفترض بعطلتها أن تدوم؟

بدأ يتنفس بصعوبة: «حتى نهاية شهر أيلول».

- إذن كيف حصل أن عادت نهاية الأسبوع الماضي؟

- لا أعلم.

- هل وعدتها بتمضية العطلة معها؟

رمقها بنظرة حادّة:

- تعلمين أنني لم أفعل. لقد ذهبت إلى هناك بضعة أيام فقط لأتأكد من أن الأمور تسير على ما يرام.

- ومع ذلك، ووفقاً لما تقول، كان يفترض بعطلتها أن تنتهي بعد ثلاثة أسابيع. ألا تجده غريباً أن تقطع عطلتها وتعود قبل أحد وعشرين

يوماً وتتصل بي لحظة عودتها إلى أثينا يوم الجمعة تطلب مني مرافقتها للتسوّق؟

- كانت تحب أن تفعل ذلك مع ماريس.

- أليس لديها أصدقاء من عمرها؟

- بالطبع.

- إن عاشت هنا طوال حياتها، فكيف يُعقل أن أكون الشخص الوحيد الذي خطر لها أن تمضي فترة بعد الظهر معه؟

لم يكن يملك جواباً هذه المرّة.

- إنها تعلم أننا منفصلان منذ عام وأننا مشتاقان لتمضية الوقت معاً. أي نوع من أصدقاء العائلة يتدخل ويتطفل على مسألة شخصية إلى هذا الحدّ من دون أي اهتمام لمشاعرنا؟ وفي السياق نفسه أي نوع من أصدقاء العائلة يظهر في كل عطلة نهاية أسبوع من شهر عسلنا على اليخت؟ أم أنك دعوتها من دون أن تخبرني بالأمر؟

ساد الصمت مجدداً.

- غالبية العرائس اللواتي أعرفهن لا يرغبن برؤية أي من أفراد العائلة أو الأصدقاء القدامى أثناء شهر العسل. هل كانت ماريس لتقحم نفسها؟ لا أظن. أندرياس أنا لا أقول ذلك كي أبدو وضيعة أو ظالمة. جلّ ما أريده منك هو أن تفكر في طريقة تصرفها. إن كنت ستسمح لها بأن تكون الطرف الثالث في علاقتنا الزوجية فزواجنا لن ينجح. ما من مكان لشخص ثالث بين الرجل وزوجته. كنت أتمنى ألا أخبرك بهذا لكن أولمبيا تصرّفت معي بجفاء شديد حين التقينا. وقد نقلت عن لسان ثيو كلاماً لم يقله بما في ذلك أنك شجاع لكي تتزوج مني في حين أن معظم الرجال كانوا سيجدون في الأمر مشكلة.

سألها أندرياس بنبرة حادة: «هل قالت لك تلك الأمور حقاً؟».

- أجل، هذه الأمور وغيرها. كانت تطلق تعليقات كثيرة كأن تقول إني صغيرة جداً في السن ولا أملك خبرة تجعلني امرأة مناسبة

لك. لم تكن تتحدث إليّ إلّا إذا تعلّق الموضوع بالسرطان االذي أعاني منه: هل أنا بخير اليوم؟ هل أظن أني قادرة على الاستمرار في زواجي بينما تنتظرني عملية استئصال أخرى؟ هل يحق لي الزواج أصلاً وأنا أعرف أنه محكوم عليّ بالموت الأكيد؟

كان يطلق الشتائم المتلاحقة. لعلها جعلته يصغي أخيراً.

- لم يسبق لي أن عرفت شخصاً بوضاعتها. أفترض أن حسدها أظهر أسوأ صفاتها، لكنني لم أتخيّل يوماً أن تتمادى إلى حدّ أن تقلب ثيو ضدّك. ألم تتساءل يوماً لماذا شعر بمثل هذا الحزن لأنه أُجبر على سوقك إلى المحكمة؟ كنتما صديقين في العمل. أنا وجدت تصرفاته غريبة جداً وأعتقد أنّ أولمبيا لعبت دوراً أساسياً في ذلك. كانت تعلم ما الذي تفعله حين جعلتك تقسم على كتمان سرّ الاعتداء عليها، فهذا يلزمك بطريقة جديدة ويمنحها سلطة عليك. برأيي ستظل تتلاعب بك إن لم تضع لها حداً. أنت الوحيد القادر على ذلك. لم يمض على وجودي في اليونان أسبوع واحد وسبق أن تطفلت على العشاء العائلي واتصلت بك في المكتب تتوسلك لتساعدها. ماذا بقي بعد أندرياس؟ هل ستتصل بك في منتصف إحدى الليالي لأنها تريد منك أن ترى ما خطب آري؟ كل ما عليها فعله هو أن تتصل بك وستهرع إليها. وهذا يحصل لأنه تمت برمجتك على الاستجابة لها وهي تدرك ذلك تماماً. لكنها لم تعد مراهقة. ألاعيبها صارت تدل على يأس أكبر كلما اتصلت بك تختلق أعذاراً لتكون برفقتك. لا أريد أن أتركك أبداً لكني سأضطر لذلك إن لم يتغيّر الوضع!

رأت لوناً أبيض يحيط بزاويتي فمه.

- تعلم كم أحبك أندرياس. لقد عدت لأحارب من أجلك، من أجلنا. لكنها تقف بيننا دوماً. لن نتمكن من وضع خطط للمستقبل أو إنجاب طفل في ظل هذه الظروف.

كانت قد وعدت نفسها بألا تنهار لكن الدموع انهمرت على خديها.

- دومينيك...

سمعت في صوته توسّلاً لكنها لم تستطع للحظة التجاوب معه.

- قد أكون في فترة خصوبة، لكن كما قلت سابقاً، يحتاج زواجنا لأرض صلبة إن كنا سنصبح أبوين. وإلى أن تخرج أولمبيا من حياتنا، لن يحصل ذلك مطلقاً.

أرادته أن يأخذها بين ذراعيه ويطمئنها. لكنها ارتعبت حين تحوّلت ثواني الانتظار إلى دقائق قبل أن يختفي من غرفة النوم.

* * *

- بول؟

- أندرياس...

- هل أنت وحدك؟

- كلا، أمهلني خمس دقائق وسأعاود الاتصال بك.

إن كان برفقة امرأة فإن أندرياس يكره مقاطعته، لكنها إحدى الليالي التي ينبغي له فيها الحصول على أجوبة. لقد قامت دومينيك لتوّها برسم صورة لم يكن ليتخيّلها، ما زعزع كيانه كله. كانت بعض الحقائق التي آمن بها طوال حياته على وشك أن تختفي.

ليس أفضل أصدقائه وحسب بل الزوجة التي يحبها أكثر من حياته مقتنعان بأن لأولمبيا ناحية سيئة في شخصيتها، ناحية مظلمة كظلام الليل المحيط به.

ما أن رنّ هاتفه الخلوي حتى فتح الخط.

- لم أعد منشغلاً الآن اندرياس، تفضّل.

- يؤسفني أن أزعجك بول، لكن لدي العديد من الأسئلة، ولا أعلم من أين أبدأ. لذا، سأدخل في صلب الموضوع مباشرة. في وقت سابق من هذا اليوم قالت لي دومينيك إنك كنت تحب ماريس، أهذا صحيح؟

حين لم يتلق أي إجابة، أدرك أندرياس أن هذا كل ما يحتاج

لمعرفته.

- منذ متى وأنت مغرم بها؟

اعترف صديقه أخيراً: «منذ أيام الثانوية».

أطبق جفنيه بقوة:

- هل أخبرتها يوماً بمشاعرك؟.

- كلا، بل أخبرت أولمبيا وطلبت منها أن تمهد لي الطريق معها.

شعر بمرارة في حلقه.

- وما كان ردّها؟

- قالت إنه من الأفضل لي ألا أعرف ردّها لأن ذلك سيؤذيني.

خرجت من قلبه تنهيدة، زعزعت كيان أندرياس.

- أجبت عن كافة أسئلتي إلا سؤال واحد. متى اكتشفت حيلة أولمبيا؟

- بالصدفة حين سمعتها تتحدث إلى دومينيك قبل زواجكما مباشرة. كانتا في بهو الكنيسة ولم تعرف أي منهما أني على الدرج. سألتها أولمبيا كيف ستتجرأ على أن تتعرى أمامك ليلة زواجكما.

شعر أندرياس بألم عميق يخترق صدره: «لا أعلم ما عساي أقول بول».

- تأخر الوقت كثيراً على الندم. بسبب حادث ماريس لم يكن قدرنا أن نكون معاً لكن الوقت لم يتأخر بالنسبة إليك.

- سوف أقبض على أولمبيا متلبسة.

- لن يكون ذلك صعباً. لا تجعلها تعلم أنك اكتشفت أمرها. لا بدّ أن تخترع شيئاً جديداً في غضون الأيام القليلة المقبلة.

- حين تفعل، سأكون بانتظارها.

- هل أخبرت دومينيك؟

- كلا. لن أقول شيئاً حتى تخرج أولمبيا من حياتنا إلى الأبد. لقد عانت زوجتي طويلاً.

- جميعنا عانينا. هل لديك استراتيجية ما؟

- أجل.

- هل تحتاج للمساعدة؟

- أجل. هل لديك نصف ساعة؟

- إن كان من أجل التخلّص من أولمبيا، فكل ما أملك من وقت مخصص لك.

www.elromancia.com

٩ ــ المواجهة المرّة

دخلت دومينيك النادي الرياضي في الصباح التالي بعد الإنتهاء من صف اللغة. حيّاها العديد من الرجال المفتولي العضلات بالإنكليزية. كان أندرياس قد قال لها من قبل إن مشيتها أميركية تماماً بحيث تظهر جنسيتها على بعد ميل.

اقترب منها رجل يفتر ثغره عن ابتسامة عريضة، وجالت عيناه عليها تتأملانها بإعجاب: «أنا أليكس المدير والمدرّب هنا. لم يسبق لي أن رأيتك هنا وإلا لما نسيتك أبداً».

نظرت من حولها إلى المعدات: «صحيح، إنها المرّة الأولى لي هنا».

لم يكن هناك سوى بعض الرجال الذين يستفيدون من التسهيلات.

- أين النسوة؟

- عادة ما يأتين في أثناء النهار. هل أنت هنا لتنتسبي إلى النادي؟

- زوجي عضو هنا.

قطّب وقال: «يا للأسف، كل شاب هنا سيشعر بالأسف لسماع هذا. ما اسم الرجل المحظوظ؟».

- أندرياس ستاماتاكيس.

تجهّمت ملامحه في لحظات وأطلق صفارة خافتة: «هل أنت زوجته الأولى؟».

أدركت دومينيك عند سماعها السؤال مدى انتشار الشائعات بعد المحاكمة.

- أنا زوجته الأولى والوحيدة. لكن ربما ليس لوقت طويل.

وضع يديه على ردفيه: «لم أقصد الإساءة. لقد طرحت السؤال بشكل خاطئ».

- لا تقلق بهذا الشأن. أعلم ما الذي قصدته. لقد انفصلنا لعام كامل، لكني عدت وأدعى دومينيك.

- إنه اسم جميل، إنه فرنسي، أليس كذلك؟

- أجل، تابعت أمي دراستها في فرنسا وأغرمت بالإسم.

نظرته إليها هذه المرّة كانت مهنية: «قوامك رشيق. أفترض أنك لست غريبة عن النوادي الرياضية».

- لقد ارتدت أحدها على مدى العام ونصف الماضيين.

-إذن، تصرّفي على راحتك أرجوك. غرفة تبديل الملابس في الخلف هناك.

وأشار إلى الباب خلفه.

- شكراً لك.

دخلت غرفة تبديل الملابس، وبعد أن ربطت شعرها إلى الوراء، خرجت ترتدي سروالاً قصيراً وقميصاً قطنياً خفيفاً. كانت دومينيك تحب التمرّن باكراً في الصباح ما يزوّدها بالطاقة لبقية النهار. تجاهلت نظرات الرجال الآخرين وبدأت تمارينها المعتادة لتقوية الذراعين والقسم الأعلى من الجسم.

كانت قدرتها على السيطرة على جسمها تمنحها شعوراً جيداً.

بعد القيام بالمزيد من التمارين شعرت أنها مستعدة للاستحمام.

ما إن ارتدت تنورة وقميصاً وسرحت شعرها حتى ذهبت للبحث عن أليكس.

كان يساعد أحد المراهقين، فوقفت بعيداً وانتظرت حتى يفرغ من عمله.

- آسف كنت منشغلاً.

- لا بأس. هل لديك بعض الوقت للتحدث إليّ الآن أم أكلمك في وقت لاحق؟

- إنه الوقت الأفضل.

- شكراً لك. أردت أن أعرف إن كان بين النساء المنتسبات امرأة نجت من سرطان الثدي.

أنبأتها تعابيره أن سؤالها كان آخر ما توقّع سماعه: «حسب ما أعلم ثمة واحدة فقط. وهي عادة ما تأتي في الساعة السادسة مساءً».

- إن أعطيتك رقم هاتفي فهل تحرص على أن تعطيها إياه وتطلب منها أن تتصل بي؟

- بالطبع.

توجها نحو الطاولة حيث دونت اسمها ورقم هاتفها على ورقة صغيرة أعطاها إياها.

- قل لها إني إحدى الناجيات من سرطان الثدي أيضاً وأود التحدث إليها.

رقت عينا أليكس: «سأفعل».

- هلا تسدي لي خدمة أخرى؟

- طبعاً.

- إن وجدت أي امرأة ناجية، فهلا طلبت منها الاتصال بي؟

- سأعمل على معرفة ذلك.

- أقدّر لك ذلك. أنا أحضّر لماراثون لنا نحن هنا في أثينا. آمل أن نتمكن من القيام بذلك في شهر تشرين الثاني.

حكّ رأسه: «لدي أصدقاء يديرون بعض النوادي الرياضية سأعلمهم بالأمر».

- رائع. أراك غداً في التوقيت ذاته.

- أراك غداً سيدة ستاماتاكيس.

- نادني دومينيك من فضلك.

ارتفعت معنويات دومينيك فغادرت النادي إلى المستشفى مباشرة. وبعد أن تناولت طعام الغداء في الكافيتريا قامت بزيارة أولى مرضاها.

سمعت دومينيك المخاوف ذاتها التي كانت لديها وهي تصغي إلى امرأة في الأربعينات من عمرها. كانت على وشك أن تخسر أحد ثدييها، وقد طرحت على دومينيك الأسئلة ذاتها التي شغلت بالها يوماً. ومع أن المرأة الأخرى لا تتكلم سوى القليل من الإنكليزية إلّا أنهما تمكنتا من التواصل بشكل رائع. ووعدتها دومينيك أن تأتي لزيارتها مجدداً قريباً ثم جالت على بقية المريضات اللواتي خضعن للمعاينة.

أدركت لاحقاً عند دخولها المنزل أن أندرياس سبقها وأعدّ لهما العشاء. تحدثا أثناء تناول الطعام عن آخر الصفقات التي يعمل عليها وأخبرته هي عن المرضى الذين التقتهم.

الموضوع الوحيد الذي لم يتطرقا إليه هو أولمبيا.

لم تصدق كم بدت الأمور بينهما متناغمة فيما كلاهما يدرك أن بركاناً على وشك الانفجار.

عند العاشرة أغلقت كتبها وذهبت إلى الفراش قبله. بعد انضمام أندرياس إليها بلحظات شدّها إليه وأسند ظهرها إلى صدره قائلاً: «كل ما أريده هو أن أضمك إليّ طوال الليل. أتمانعين؟».

- بالطبع لا.

توقفت قليلاً عن الكلام ثم قالت: «أندرياس..».

- لا مزيد من الكلام. ثمة الكثير لأفكر فيه. ما أريده الآن هو أن أنام وأنا أحضنك بين ذراعي. هل أطلب الكثير؟

- كلا.

لم يكن ما يطلبه كثيراً. لقد خافت أن تكون قد أبعدته عنها لدرجة أن يفضل النوم في غرفة الضيوف، وشعرت بفرح وارتياح عارمين لإحساسها بذراعيه القويتين تحيطان بها، فأغمضت عينيها لتنام لكنها

سمعت رنين هاتفها الخلوي.

قد يكون المتصل أحد والديها لكنها أملت أن تسمع صوت المرأة من النادي. سألها بصوت أجش: «هل تريدين الإجابة؟».

- أظن أنه من الأفضل لي أن أجيب.

جلس في السرير ومدّ يده وناولها الهاتف عن الطاولة.

- آلو؟

سألها صوت أنثوي بلكنة إنكليزية ثقيلة: «هل أنت دومينيك؟».

- أجل.

-أنا «إلكترا». أخبرني ألكس أنك تريدين التحدّث إليّ.

- أجل، شكراً لاتصالك «إلكترا».

- لا بأس بذلك. هل تعانين من مرض السرطان أيضاً؟

- كنت أعاني منه. أرجو أن أكون قد تخلصت منه إلى الأبد.

-أنا أيضاً اتمنى الأمر نفسه بالنسبة لي.

- هل تركضين كجزء من التمارين التي تقومين بها؟

- كلا، لكني أفكر في أن أفعل.

- هل تمانعين إن أتيت إلى النادي غداً مساءً وتحدثت إليك بعد الانتهاء من تمارينك؟

- لا بأس بذلك. سأبحث عنك عند الساعة السابعة.

- شكراً جزيلاً لك. عمت مساءً.

أخذ أندرياس الهاتف منها وأعاده إلى حيث كان: «لقد انشغلت كثيراً اليوم. بدأت كذلك العمل على مشاريعك. أنت امرأة مميزة دومينيك. سأرافقك غداً مساءً وأقوم ببعض التمارين الرياضية».

حافظ زوجها على وعده، ومارسا الرياضة معاً وتعرفا إلى إلكترا. انضم اليكس إلى الحديث وقال إنه سيساعد في تنظيم السباق، كما أعدّ لها لائحة تضم ستة أسماء.

حين وصلا إلى المنزل أعدت دومينيك طعام العشاء قبل أن يأويا

إلى الفراش. لم يحاول أندرياس التودد إليها، بل ضم أحدهما الآخر بين ذراعيه وغرقا في النوم. وصارت هذه عادة لديهما استمرت حتى نهاية الأسبوع.

مساء الجمعة تناولا العشاء في منزل ذويه. وفيما كان أندرياس وإيلي يتحدثان في غرفة الجلوس، ساعدت دومينيك أمه في المطبخ.

بدا كل شيء يسير على ما يرام لدرجة أنه نسي تقريباً المشكلة التي تواجههما.

بعد تناول الفطور معاً نهار السبت غادرا إلى زاكينثوس ليمضيا يوماً في السباحة والاستمتاع بنور الشمس. كان الطقس رائعاً، فاستلقيا تحت أشعة الشمس وسبحا في البركة كما تمرّنت على ما تعلمته مع أندرياس.

في الواقع كان أفضل من أستاذها في الجامعة. لم تتصور أن تتمكن من تكلم اللغة كالسكان الأصليين لكنها أصرّت على المحاولة.

كان رائعاً معها، وصبوراً كذلك فشعرت وكأنها أميرة معه.

وانتهى بهما الأمر للعب لعبة تقتضي بألا تقول شيئاً إلا إن كان باليونانية. أخذ أندرياس في البداية يطرح أسئلة بسيطة لا تتطلب الإجابة عنها سوى كلمة واحدة. ثم راحت الأسئلة تزداد صعوبة وبدأت تستعمل كلمات أكثر تعقيداً.

ضحك بأعلى صوته حتى وقع في البركة وجرها معه. وفيما هما تحت سطح المياه قبّلها كما لم يفعل منذ أيام.

وحين خرجا من المياه حملها إلى المنزل لكن «إيليني» لحقت بهما قبل أن يصلا إلى غرفة النوم.

- آسفة للمقاطعة سيدي لكن أولمبيا تتصل من أثينا. إنها قلقة بشأن آري وتريد التحدث إليك.

كان تكهّن دومينيك بشأن أولمبيا صائباً تماماً إلا أنها أخطأت في مسألة التوقيت فبدلاً من أن تتصل أولمبيا في منتصف الليل، اتصلت

في وضح النهار. ومع ذلك شعر بالقلق من أن يكون شيئاً ما قد أصاب الطفل.

- شكراً إيليني. سأتلقى الاتصال في غرفة النوم.

ما أن وصلا حتى أنزل دومينيك ومشى نحو الهاتف ورفع السماعة.

معظم أحاديثه مع أولمبيا مقتضبة لكنه يجيبها دوماً أنه سيوافيها فوراً.

رمق دومينيك بطرف عينه من حيث يقف.

- آري مريض، ولا يكف عن التقيؤ. اتصلت أولمبيا بالطبيب. فطلب منها أن تحضره للمستشفى، إنها خائفة.

- إذن، عليك الذهاب إليها.

- دومينيك؟

- لا بأس. إن كان مريضاً جداً فهي بحاجة إليك. لكني وكما تعلم أنا آخر شخص تود رؤيته، لذا سأبقى هنا.

تقدّم منها قائلاً: «هل أنت واثقة؟».

- تماماً.

- سأحاول العودة قبل حلول الظلام.

يمكنك أن تحاول لكنك لن تنجح لأن أولمبيا ستجد طريقة لكي تبقيك بجانبها.

بسرعة البرق انحنى أندرياس فوقها وقبّلها بشغف. في الماضي كان شغفه يشعل نارها ويتركها متلهفة إلى أن يعود مجدداً. لكن شيئاً ما تمزّق داخل دومينيك منذ أخبرته مدبرة المنزل من اتصل به. كلما كان أندرياس يقرّبها منه تشعر أنها بعيدة عنه.

في الواقع لقد انتابها الشعور الأكثر غرابة وكأنها موجودة خارج جسدها، تعي ما يحصل من دون أن تكون قادرة على الإحساس باللذة أو إعطائها.

وخطر لدومينيك أن آري هو لعبة أمه والبطاقة التي ستستخدمها مراراً وتكراراً في المستقبل. سيكون هناك دوماً المزيد من الأزمات والمزيد من المشاكل وإلا ستخترعها.

لم يتخل ثيو عن ابنه لدوافع لاإنسانية، بل لأن الرباط بين أولمبيا وأندرياس أصعب من أن يفك.

عادت دومينيك إلى اليونان لتحارب من أجل إنجاح زواجها لكنها وصلت متأخرة عشرين عاماً على الأقل.

مهما كان الوقت الذي يعود فيه أندرياس إلى زاكينثوس فهو لن يجدها!

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً حين دخل الطبيب غرفة الانتظار بحثاً عن أولمبيا. ووقف أندرياس حين رآه.

- طفلك سيكون بخير سيدة بانوس. يمكنك أخذه إلى المنزل. لقد عانى من بعض التشنجات لكن الأسوأ مرّ. اتصلي بعيادتي غداً إن كان لديك أي أسئلة.

- شكراً لك.

وبعد دقائق، كانت تحمل آري في عربته ليغادر الثلاثة المستشفى إلى شقة أولمبيا. ما أن وصلا حتى وضعت الطفل في السرير والتفتت إلى أندرياس بعينين متوسلتين: «هل تبقى معي الليلة؟».

خطرت له تحذيرات زوجته على الفور.

كل ما عليها أن تفعله هو أن تطلب وسيهرع إليها، وهي تدرك ذلك تماماً. إلا أنها لم تعد مراهقة، وألاعيبها باتت أكثر يأساً...

- أين عمتك؟

- ذهبت لتمضية عطلة الأسبوع لدى ابن عمي.

وعاد كلام دومينيك يسيطر على تفكيره: وهل لعمتها ابن أخ؟ هذه أخبار جديدة بالنسبة إليّ؟

من المثير للغرابة جداً أن تتصل بك طلباً لمساعدة فيما قريبها

يعيش على مقربة منها.

أمال رأسه جانباً: «ظننت أنها مريضة جداً بحيث لا تستطيع الذهاب إلى أي مكان».

- الدواء الذي أعطاها إياه الطبيب جعلها تشعر بتحسن كبير. أظن أنها أرادت الهروب من بكاء الطفل.

كانت أولمبيا تملك دوماً الإجابة التي تبدو منطقية إلا أنه لم يكلف نفسه يوماً عناء مساءلتها. من الواضح أنه وماريس كانا بغاية السذاجة فيما يتعلّق بها.

- سأبقى قليلاً.

- جيد. دعني أعدّ لنا القهوة.

لحقها إلى المطبخ. وبعد دقائق جلسا وجهاً لوجه يحتسيان القهوة الساخنة فبدت غاية في السعادة. أسقمه إدراك عدد السنوات التي تعامى فيها عن حيلها وألاعيبها.

عجزه عن رؤية ذلك بوضوح أوصله إلى خطر خسارة دومينيك.

- أولمبيا؟

- هل تود تناول سندويش مع القهوة؟

لقد حان الوقت:

- كلا، شكراً لك. لا يمكن لهذا أن يدوم أكثر.

- ما الذي تقصده؟

أخذ رشفة من القهوة ثم وضع الفنجان على الطاولة وقال: «أنا أتحدث عن العالم الخيالي الذي تعيشين فيه منذ أصبحت أنت وماريس صديقتين».

- عالمي الخيالي؟

- أجل. العالم الذي يصوّرني كزوجك ويصوّر آري على أنه طفلنا. هذا ضرب من الخيال أولمبيا، ولا أساس له من الصحة. كنت صديقة أختي الصغرى وهذا كل ما في الأمر. لأن ماريس لم

تكن خبيثة، لم تتمكن من رؤية حقيقتك كما لم يستطع والداي ذلك بل اعتبراك جزءاً من العائلة. قتلت ماريس قبل أن ينكشف أمرك وتظهري على حقيقتك بأنك كافأت صداقتها الطويلة بالخيانة.

تحدّته قائلة: «الخيانة؟».

- إنها الكلمة المناسبة لوصف تصرفك. لقد سببت الأذى لكثيرين وألحقت بهم الكثير من الضرر. ضرر لا يمكن أحياناً إصلاحه لكن شكراً لله أن هذا لا ينطبق على دومينيك.

التمعت عيناها غضباً: «هل قلبتك ضدّي؟».

- إن كنت تقصدين أنها فتحت عيني على حقيقة نفسيتك المريضة فالجواب هو نعم. أمنحها كل الحق في ما قالته. أنا أحب زوجتي بكل عرق نابض مني. إنها الاولوية لما تبقّى من حياتنا. لا مكان لشخص آخر مطلقاً. هل تفهمين ما أقول؟

رمت أولمبيا ما تبقّى من قهوة في فنجانها في وجهه، فظل جالساً في مكانه.

- أرى أنك فهمت تماماً.

تغضن وجهها كطفل صغير واغرورقت عيناها البنيتان بالدموع. لقد رأى هذا المشهد مرات كثيرة في حياته من قبل وكانت دموعها تحرّك غرائزه دوماً.

غضب أندرياس لمجرّد التفكير كم تلاعبت به دون أن يلاحظ.

- لِمَ لم تحبني؟

كان سؤالها حزيناً متوسلاً سقيماً.

- كيف يمكن لأحدهم أن يفسر الكيمياء بين البشر؟ إما أن يحب المرء الآخر وإما لا. لحظة رأيت دومينيك وقعت في حبها. أنا أحبها بشغف وجنون لا حدود له. لقد قلبت حياتي. إنها لي، المرأة التي أحب.

- إنها لا تستحقك!

- لم يطلب أحد رأيك.

- دومينيك ليست من النوع الذي يناسبك.

- بل إنها نوعي تماماً! عرفت ذلك في اعماق روحي وكياني في لحظات.

صرخت بيأس: «لا!».

- استمعي لنفسك أولمبيا. ها أنت في الثلاثين من عمرك مع طفل، وتتصرفين كفتاة مراهقة أفسدها الدلال. تحتاجين لمساعدة لا يسعني تقديمها لك. ها أنا أحذرك الآن. لن أذهب بعد اليوم لتلبية طلباتك. العلاقة بيننا انتهت. أرجوك لا تتصلي مجدداً بي أو تقتربي مني أو من دومينيك.

- أنت لا تعني هذا فعلاً...

- حاولي ذلك وسأطلب من محاميّ ملاحقتك قانونياً. هذا آخر ما أريد فعله لكنك خرجت عن السيطرة.

هزت رأسها ترفض أن تصدق الأمر.

- زوجتي ذهبت إلى طبيب نفسي بعد أن تركتني، وخضعت لعلاج لتفهم نفسها بشكل أفضل. لديك عينان ويمكنك أن تري ما الذي حصل لها. لقد تفتحت المرأة التي كانت دوماً موجودة في داخلهاوالتي لم تكن تشعر بالأمان. يمكنك الاستفادة من العلاج أولمبيا. أنت امرأة جميلة تعاني من عدم الأمان كذلك. لقد ترك ثيو لك ما يكفي من المال لتحصلي على مساعدة إخصائي. لو كنت مكانك لبدأت غداً، ليس من أجلك فقط بل من أجل الطفل الذي تقومين بتربيته.

- تتحدث وكأنني مريضة عقلياً.

- ثمة خطب ما في امرأة تدّعي أنه تم الاعتداء عليها.

تصلّبت ملامح وجهها.

- لدي إثبات يؤكد أن ذلك لم يحصل أولمبيا.

- كيف تتجرأ على قول ذلك؟

- هذا الأسبوع، ذهب محاميّ إلى القاضي الذي طلب الإطلاع على سجلات المستشفى. لم تدخلي يوماً إلى قسم الطوارئ في مستشفى أكروبوليس كما ادعيت. لم نجد أي سجل لأنك اخترعت القصة بأكملها.

- لم أذهب إلى المستشفى بل إلى عيادة خاصة لأبقي الأمر سراً.

- تعلمين أن هذا غير صحيح. أكاذيبك لا تنتهي. اكتشفت ذلك حين اتصلت بثيو.

- إنه يكرهك ولن يتحدث إليك مطلقاً.

- أنت مخطئة. كنا صديقين قبل أن يلتقيك. تحدثت مطولاً معه. عرفت أولاً الجحيم الذي جعلته يعيشه. لم يستغلك يوماً جسدياً أو عاطفياً بل على العكس من ذلك. لقد عذّبته طوال تسعة أشهر وأنت تخبرينه أن آري طفلي، وكنت أنت من دفعه إلى رفع قضية زنا ضدي. ثمة خطب ما في زوجة تكذب على زوجها حيال أبوّة الطفل الذي لديه كل الحق في أن يعلم أنه أبوه.

- حصل على ما تمناه.

- بعد أن أعدمت كل فرصة لأن يحبك. أمر آخر لا أفهمه هو تدميرك لأي أمل لبول وماريس. أخبرني بول أنك حرصت على ألا يلتقيا هو وماريس، منذ كانا في المدرسة الثانوية. وكل ذلك لأنك مليئة بالحسد والغضب.

صرّفت بأسنانها: «لطالما كرهت بول لالتصاقه بك. كان يعرف شعوري نحوك. أستطيع أن أجزم أنه حاول إبعادنا عن بعض».

- كما أخبرتك سابقاً، ما من كيمياء بيننا أولمبيا. لم يكن لبول علاقة بالأمر مع أنك آذيت اثنين من الأشخاص الذين أحبهم. تعلمين أن ماريس كانت مجنونة بحبه. كم كنت قاسية حين نقلت الأكاذيب إليها وأقنعتها بأنه لا يهتم لأمرها.

- لم يكن مناسباً لها.

- لا يمكنك التلاعب بحياة الآخرين على هذا النحو على أمل أن تنجي بفعلتك إلى الأبد. حين بدأت العبث مع دومينيك أوقعت نفسك في المشاكل فعلاً. أنت تعانين من مشاكل كثيرة كي تتعمّدي إضعاف ثقتها بنفسها. كيف يمكن لحالك أن يكون لو أنك في الثانية والعشرين من العمر وتم تشخيص هذا المرض لديك؟ كيف كنت لتشعري لو قيل لك إنك بحاجة لعملية استئصال للثدي وإلا تموتين حالاً؟ هل تتصورين شعورك إذا ما كان عليك أن تستيقظي كل يوم وأنت تتساءلين إن كان السرطان سيعود للظهور يوماً؟ عليها إجراء فحص شهري من دون أن تعلم النتيجة مسبقاً. شجاعتها أمر لا يمكنك تصوّره.

هبّ واقفاً وتناول منشفة قريبة مسح بها وجهه مضيفاً: «بمساعدة إخصائي ستتمكنين من التقرّب من ثيو مجدداً علكما تنقذان زواجكما. لولا وجود شرارة ما بينكما لما ولد آري. إنه صبي رائع. أصلحي مسار حياتك قبل فوات الأوان. تظنين أنك تتألمين الآن لكن إن كبر آري بعيداً عنك لن تتخلصي من العذاب أبداً».

واستدار أندرياس ليرحل فتعلّقت به: «لا، أرجوك، أنا أحبك. لا يمكنك الرحيل! ماذا سيفعل آري من دونك؟ إنك الرجل الوحيد الذي يعرفه ويحبه».

- الأطفال مرنون بطبعهم. سيكبر ويحب شخصاً آخر. لكن إن كنت تحبين ابنك فعلاً فستفعلين ما هو صائب وتحصلين على المساعدة ليتمكن على الأقل من لقاء ثيو.

اضطر أندرياس لاستعمال القوة الجدية ليبعدها عنه فيتمكن من مغادرة الشقة. وما من أقفل الباب حتى سمع شيئاً ما يرتطم ثم سمع صوت بكاءٍ مرير.

توجّه إلى سيارة الليموزين التي تنتظره أمام الشقة. كانت الطائرة بانتظاره في المطار.

لم يتمكن أندرياس من العودة إلى زاكينثوس وإلى زوجته بالسرعة الكافية.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل حين هرع نحو غرفة النوم فلم يجدها هناك.

- دومينيك؟

وحين لم يتلق أي جواب أسرع إلى البركة: «دومينيك؟».

استدار بسرعة ليرى «إيليني» تركض نحوه بملابس النوم: «بعد الغداء أخذت السيارة وقالت إنها ستذهب في نزهة. ولم أرها منذ ذلك الحين».

شعر بقلبه يتوقف. لعلها قررت أن تستقل طائرة عائدة إلى أثينا. علم أنها لم تتصل بقائد طائرته وإلا لأبلغه بالأمر.

اخرج هاتفه الخلوي وحاول الاتصال بها لكن الهاتف أخذ يرن ويرن من دون إجابة. ترك لها رسالة يتوسل فيها إليك كي تتصل به حالما تتلقاها.

- سأذهب للبحث عنها، إن صادف واتصلت بالمنزل قولي لها أن تبقى على الخط!

- سأفعل.

قاد سيارته على الطريق الرئيسي وقرر أن يذهب إلى الجهة الشرقية من الجزيرة. لعلها ذهبت إلى البلدات القريبة الواقعة على الساحل بعد أن قررت تمضية الليلة في أحد الفنادق.

راح يبحث عن سيارة ما متوقفة أمام أي من الأماكن الخاصة بالسياح. وحين لم يرها افترض أنها قادت السيارة إلى زاكينثوس.

كان المكان كبيراً يعج بالحياة وهو جيد للتسوّق إن كانت تلك خطتها. أو لعلها خططت للعودة إلى أثينا.

بعد أن علم من المسؤول عن حركة إقلاع الطائرات الصغيرة أنها لم تكن على متن أي منها، تنفس الصعداء وأخذ يفتش في مواقف

سيارات أكثر الفنادق شهرة في المنطقة إنما من دون جدوى.

أدرك بعد فترة أنه يضيّع الوقت سدىً. الأمر الوحيد الذي يمكن فعله هو الدوران بالسيارة في الجزيرة ومن ثم العودة إلى الفيلا لينتظر اتصالها أو عودتها في الصباح.

تنهد أندرياس من أعماقه لأن الليلة غاية في الروعة. كان يتألم لغياب زوجته لا سيّما وأنه يحمل لها أخباراً سارة جداً.

أخذت السيارة تجتاز المسافات وهو يتأمل البدر الذي يعكس نوره على سطح المياه. تذكر ليالي السنوات الماضية حيث اعتاد تمضية الوقت هو وبول في لاغاناس، البلدة الواقعة إلى اليسار.

كان شاطئ تلك البلدة أحد أهم أماكن العالم حيث تلقي سلاحف البحر بيضها. كان المشهد يجذب آلاف السياح إلى الجزيرة. لكنه كان يكره التدفق البشري كأي محبّ للبيئة.

في أوقات محددة من العام تأتي السلاحف إلى الشاطئ ليلاً لتلقي بيضها الرمال. لاحقاً حين يفقس البيض، تحتاج صغار السلاحف لأن تجد طريقها إلى المياه.

كان ضوء القمر ينير أمواج البحر ويساعد في إرشاد السلاحف إليه.

في ما مضى كانت الأضواء المنبعثة من المقاهي والنوادي الليلية تضلل السلاحف فيموت معظمها من الجفاف بسبب توجهه نحو المدينة بدلاً من البحر. وقد استعمل أندرياس نفوذه للمساعدة على حماية السلاحف عبر فرض قوانين صارمة لمنع الحضارة من التعدّي على مناطقها. بالتالي منع التجوّل ليلاً على نور المصابيح، ووضع المظلات في الرمال والحفر وإرساء المراكب والتحدث في المكان بهدف الحفاظ على نظام الطبيعة. وقد أجبرالسيّاح المتوافدون إلى المكان في هذا الوقت من العام لرؤية الصغار تفقس على البقاء في مكان بعيد حيث تلتقي الأعشاب بالرمال.

لطالما فكر في إحضار دومينيك إلى هنا. لكنها غادرت اليونان قبل أن يتمكن من ذلك وتركته غارقاً في بحر من الأسى. وكان قد وعدها في قلبه: «سأحضرك عند اكتمال القمر في المرة التالية».

يجب أن تكون هنا.

وعند المنعطف أبطأ وأخذ ينظر إلى موقف السيارات. وسرت في عروقه موجة من الارتياح عندما تعرّف إلى السيارة المركونة بين سيارات أخرى فأوقف سيارته في حال.

وبعد أن مشى بضع خطوات وجدها ممدّدة على حافة العشب. لقد عزلت نفسها عن أي شخص في العالم.

كان من السهل العثور عليها وهي صاحبة الشعر الذهبي الملتمع تحت ضوء القمر.

١٠ ــ الحاجز الأخير

كانت دومينيك تفعل ما يقوم به السياح الآخرون، وكانت الإشارات والتعليمات تنتشر في المكان محذّرة السياح ليبقوا بعيدين عن الأنظار. حاولت ألا تتحرك وهي تنتظر أي إشارة على وجود سلحفاة ما على طول الشاطئ.

لو لم تسمع بعض الناس يتحدثون عن القمر المكتمل الليلة لكانت الآن على متن الطائرة المتوجهة إلى كاليفونيا. وكانت لتستقل من هناك طائرة أخرى إلى أثينا حيث تحجز مقعداً على متن الطائرة المسافرة إلى سرايفو كوجهة أخيرة لها.

لكنها لطالما رغبت في رؤية هذا المشهد. فما هي ست ساعات أخرى قبل مغادرة اليونان؟ بوجود آري في المستشفى قد يطول الوقت ليمتد إلى يوم آخر يمضيه أندرياس مع أولمبيا قبل أن يشعر أنه قادر على تركها.

أبعدت الألم إلى أبعد زاوية في قلبها وصبت تركيزها على الظاهرة الطبيعية التي لا يمكن مشاهدتها إلا في أماكن قليلة من العالم.

إنها تتمدد هنا منذ ساعات، تنتظر اللحظة التي ترى فيها أي كائن يتحرك. قد لا تحصل أي حركة حتى أن بعض السياح استسلم وكف عن السهر.

وبعد لحظات سمعت وقع أقدام وراءها فاستدارت وتسارعت دقات قلبها حين اكتشفت الشخص الذي يحدّق فيها.

وضع أندرياس إصبعاً على شفتيه يشير إليها ألا تحدث أي ضجة

ثم تمدّد إلى جانبها ملقياً ذراعه على كتفيها.

أجبرت نفسها على الامتناع عن التحدث إليه. لم تكن قادرة على التعامل مع مزيد من الألم، كما أن قربه منها إلى هذا الحد جعل دقات قلبها تتسارع وتضرب بقوة بحيث خشيت أن تسمعها صغار السلاحف وتشعر بذبذباتها عبر الرمال.

أبقت عينيها مسمّرتين على الشاطئ، لكنها استطاعت أن تشعر بنظرات أندرياس على جسمها يتأملها. لم تجرؤ على النظر إليه فهي تعيش حالة اضطراب داخلي لا توصف.

مرّت عشر دقائق أخرى لم يحصل خلالها بشيء. وفجأة ضغط قليلاً على كتفها لافتاً انتباهها إلى شيء ما يتحرّك.

تبعت نظراته. وعلى بعد عشرة أقدام رأت سلحفتين صغيرتين تشقان طريقهما نحو الزبد.

كانت لحظة سحرية.

أحسّت بالدموع تحرق عينيها وحبست أنفاسها تتمنى أن تنجحا في الوصول إلى المياه من دون حوادث. كان خطر الحيوانات الضارية كبيراً وقد ساهم ذلك في اختفاء عدد كبير من السلاحف.

وجدت التجربة مثيرة بشكل عجز عن وصفه.

بعد مرور ساعة كاملة، تمكّنت السلاحف من الوصول إلى المياه. فشعرت بارتياح عميق لنجاحها.

لم تتمكن من منع نفسها من النظر إلى زوجها فرأت عينيه دامعتين مسمرتين عليها.

مهما حمل لهما المستقبل كانت سعيدة لأنه عثر عليها في الوقت المناسب ليشهدا معاً تجربة باتت تحمل بعداً روحياً لكليهما.

وفجأة، نهض عن الأرض ورفعها معه ومن دون أي كلمة توجها إلى السيارة معاً.

بعد مساعدتها على الصعود في سيارتها همس في أذنها بصوت

أجش: «اتبعيني».

انتظرت حتى خرج من الموقف فلحقت بسيارته. وبعد مرور دقيقتين انعطف نحو حوض ترسو فيه المراكب واليخوت المعدّة للنزهة، فركنت السيارة بجانب سيارته وترجّلت منها.

وعلى الرغم من أن الليل انتصف، إلّا أن زوجها لم يتردد في طرق باب إحدى الحجرات من المكتب لإيقاظ المالك.

الرّجل المسنّ الذي ظهر في الباب حيّا أندرياس مرتباً على كتفه بسرور. تكلما باللغة اليونانية ودخلا مكتبه فيما انتظرتهما في الخارج.

وبعد بضع دقائق خرج المالك حاملاً مجموعة مفاتيح ثم لحقه أندرياس حاملاً براداً صغيراً لحفظ الطعام. من الواضح أنه خطط لرحلة ما. أهي المكافأة التي تستحقها كزوجة صالحة انتظرت عودته بصمت بينما ذهب ليساعد أولمبيا مع ابنها؟

شعرت بالألم في صدرها يُسلبها طعم السعادة التي أراد منحها إياها لها. لم ترغب في إحداث بلبلة فلحقت بهما وصعدت إلى المركب. وضع أندرياس البراد على أرض المركب قبل أن يعطيها سترة نجاة.

فك المساعد الحبال قبل أن يشير إلى اندرياس بأن يدير المحرّك. استدارا وابتعدا عن المرفأ والمالك يلوّح لهما مبتسماً غير مدرك ما يختلج في صدر دومينيك من اضطراب.

لعل الأمر بدا له رومنسياً، فهما مجرّد ثنائي يخرج في رحلة تحت ضوء القمر.

رمقها زوجها بنظرة ذات معنى: «المياه هادئة الليلة. اجلسي على المقعد وتمتعي بالمشهد».

مجرّد قربه منها جعل الدم يغلي في عروقها: «هل سنبتعد كثيراً؟».

- إنها مفاجأة.

لا مفر من الإعتراف بأن الساعة التالية كانت مليئة بالسحر.

سارا بمحاذاة الطريق الساحلي إلى الجهة الغربية الشمالية للجزيرة، حيث تغيّر المشهد من مساحات خضراء غنية إلى صخور شاهقة. اقترب أندرياس كثيراً لتبدأ المغامرة الأكثر تشويقاً. وشعرت بدوار وهي تنظر إلى الجدران الشاهقة.

لمحت مساحات واسعة من اليابسة تتداخل في المياه وشواطئ رملية بيضاء يبدو أن يد إنسان لم تمسها قط.

شيء ما في تصرّفه أرسل ارتعاشة في أوصالها. إنه الرجل الذي تزوجته ذاته، لكنه ليس هو في آن واحد.

لم يتبادلا سوى بضع كلمات ما جعلها متوترة.

كانت تظن أنها تعرف كل شيء عن زوجها، لكن صفة التملك التي تظهر على زاويتي فمه العنيد أضفت بعداً جديداً جعل الدم يغلي في عروقها.

شق المركب طريقه في الماء بسرعة متزايدة. كان يقصد مكاناً محدداً، وما هي إلّا دقائق حتى أطلقت دومينيك شهقة عند رؤية الشاطئ حيث السفن المتحطمة والذي يعتبر حديقة أندرياس الخاصة.

كان الشاطئ لا يزال على حاله الأصلية وهو محاط من جوانبه الثلاثة بصخور شاهقة عملاقة. كان مكاناً يصعب الوصول إليه. يمكن الوصول إليه سيراً على الأقدام بعد ركن السيارة في مكان بعيد على الطريق. لكن أفضل طريقة لزيارته هي عبر المياه.

سبق أن رافقته إلى هنا لكن في ضوء النهار وكانت المراكب السياحية الأخرى تتوقف لتلقي نظرة على الجزيرة المهجورة.

الليلة، كان المكان بأسره ملكاً لهما وحدهما. لم يكن هناك أيّ إنسان آخر على الجزيرة. لعلهما الشخصان الوحيدان على وجه الأرض.

لمحت شرارة ما تلتمع في عمق عينيه. شعرت بالإثارة التي تتملكه وهو وحده هنا معها بعيداً عن العالم.

كانت دومينيك غاضبة من نفسها لما ينتابها من ضعف حياله. في وقت سابق من هذه الليلة كانت على وشك الرحيل إلى سراييفو، ومع ذلك ها هي الآن تفيض رغبة في أن تكون بين أحضان زوجها.

إن استسلمت لمشاعر الاشتياق الآن فهذا يعني أنها تعاني من خطب ما. سيعتقد أندرياس أنها مستعدة للتغاضي عما يحصل مع أولمبيا، وعن تدخلها في حياتهما لأنها تعجز عن التخلي عنه.

صرخت حين أطفأ المحرّك: «كلا، لا تفعل..».

حامت ظلال غاضبة فوق ملامحه: «ما الذي تقصدينه، بلا تفعل؟».

- أريد العودة إلى سيارتينا.

أجاب بصوت أجش: «لقد فات الأوان على ذلك».

وتحت نظراتها المذهولة توجّه إلى المؤخرة وقفز في المياه ليدفع المركب إلى الرمال. وبطرفة عين سبح نحوها ورفعها من المركب وهي لا تزال ترتدي سترة النجاة.

كان ضخماً يتحرك كبطل رياضي. حملها بين ذراعيه ومشى بها نحو الشاطئ وكأن وزنها لا يتعدّى وزن بضع ريشات.

قال لها: «ابقي هنا».

وأسرع إلى المركب ليجلب البراد. وحين عاد مع أغطية أخرجها من دون أدنى شك من خزانة ما تحت المقاعد، كانت لا تزال تضع أصابعها على شفتيها اللتين لم تكفا عن الارتعاش بسبب قبلته.

خافت من قوة تأثيره فيها فأشاحت بوجهها عنه وقالت: «لا يسعني فعل هذا».

- فعل ماذا؟ أن تحبيني كما أحببتني يوم عدت في محاولة لإصلاح زواجنا وإنجاح علاقتنا.

- فعلت هذا قبل أن أدرك أن بعض الزيجات لا يمكن إصلاحها.

- أوافقك الرأي إن لم تحاول الزوجة والزوج معاً وبكل ما أوتيا

من قوّة كي ينجحا.

- أحياناً حتى هذا لا يكفي.

اقترب منها يساعدها على خلع سترة النجاة وقال: «أنظري إليّ».

هزت رأسها وقالت: «ما من فائدة أندرياس».

وفيما هي تكافح للابتعاد عنه قال لها: «الليلة حرصت على أن تخرج أولمبيا من حياتنا إلى الأبد».

ارتعش صوتها: «أود أن أصدق ذلك، لكن كلانا..».

سألها وهو يهزها بحزم إنما برفق: «هل تسمعينني؟ هددتها أني سأتخذ إجراءً قانونياً ضدها. باتت تفهم أنها إن حاولت الاقتراب منا سألاحقها قضائياً».

ردّت دومينيك رأسها إلى الوراء وانتابها حزن عميق لشعورها بالدموع تحرق وجنتيها: «هذا لن يوقفها، فهي تعرف كيف تصل إليك».

- كنت أخشى ألا تصدقيني وأفهمك. لذا جلبت معي الدليل.

مدّ يده إلى جيب سرواله وسحب آلة تسجيل صغيرة: «ما ستسمعينه هنا هو الحديث الذي دار بيننا بعد أن أعدنا آري إلى للمنزل ووضعته في سريره. أريدك أن تعرفي فقط أنه أصيب بالتهاب في الأمعاء لكنه سيكون بخير».

سرّت دومينيك لسماع الأخبار الجيدة لكنها كانت لا تزال متعجبة لرؤية آلة التسجيل في يده: «وهل سجلت الحديث؟».

- أجل دعينا نستلقي ونستمع إليه. وإن كنت تتساءلين لما خلعت سترتي فلأنها في مرحلة ما من الحديث رمتني بفنجان القهوة.

جلس على الأرض وأشار إلى مكان بجانبه. فركعت دومينيك ذاهلة وتناولت السترة لترى بقع قهوة كبيرة على السترة الحريرية العاجية اللون.

أطلقت تنهيدة ومررت أصابعها على وجهه: «هل أحرقتك؟».

أمسك بيدها وقبّل أصابعها: «كلا، ساعة ثار جنونها كانت القهوة قد بردت».

- أندرياس...

راقبته يضغط زرّ التشغيل؛ وفي هدوء الليل وسكينته سمعت صوتيهما.

مع كل اعتراف سمعته كانت دومينيك تشعر بوخز الالم الذي وصم حياتها الزوجية طويلاً. حين انتهى الكلام المسجّل على الشريط كانت الدموع قد غطت وجهها ووجهه.

همست: «لقد انتهى الأمر، انتهى فعلاً».

حدّق في عينيها: «دعي هذه الليلة تكون البداية الحقيقية لزواجنا».

شعرت بقلبها يكاد ينفجر ويمنعها من الكلام. لقد سحرتها ابتسامته العريضة وخطفت أنفاسها.

- ها نحن عاشقان عالقان على حطام سفينة على جزيرة مدى الحياة. لدينا قمر يمنحنا النور ورمال تزودنا بالدفء، فتعالي إلى أحضاني حبيبتي.

* * *

عانقت دومينيك والديها في آن معاً: «أنا سعيدة جداً لقدومكما من أجل مشاهدة السباق. عندما ينتهي سنسافر إلى زاكينثوس مع «إلي» و«برنيس» لإعداد وليمة عيد الشكر إذ ستكون الاولى لهما.

- بعد إجراء هذا السباق ستكونين بحاجة للراحة. أبوك وأنا سنعدّ الطعام.

- أندرياس سيكون ممتناً.

لم تشعر دومينيك بالكثير من الجوع طوال الأسبوع الماضي، وقد اعتبرت أن ذلك يعود إلى توتر أعصابها لأنها أرادت للماراثون الأول أن ينجح.

- أنا فخور بك لأنك قمت بتنظيم هذا كله.

- شكراً أبي. مئة متسابقة ليس بالعدد السيء بالنسبة إلى المرة الأولى.

تمتمت أمها: «إنه رائع. أظن أن السباق على وشك الانطلاق حبيبتي. حظاً موفقاً. بعد قليل سنذهب إلى خط النهاية لننضم إلى أندرياس ووالديه. إنهم يحملون كاميرا بانتظار وصولك».

شعرت بقلق والدها بادياً في عينيه: «هل أنت بخير؟».

- لم أكن بحال أفضل يوماً.

- هل أنت واثقة؟

- لعلي أشعر بشيء من الخوف. لا أريد أن أفعل ما يسبب الحرج لأندرياس.

صرخ والداها في الوقت نفسه: «الحرج؟».

- تعلمان. كأن أقع على وجهي. سأموت إن حصل ذلك.

قطب والدها: «لم تفعلي ذلك من قبل. هل تشعرين بنوع من الدوار أو الغثيان؟».

- كلا، أعتقد أنه يجدر بي أن أرحل الآن. أراكما قريباً.

قبّلتهما قبل أن تنضم إلى آخرين.

أليكس مدير النادي كان أحد المتطوعين للمساعدة على تنظيم مرور السيارات وفرق الإسعافات الأولية. ياله من صديق رائع!

ساعدها في تعليق الرقم الخاص بها وقال: «آمل أن تصلي اولاً دومينيك».

- آمل أن أصل وحسب!

رافقها صوت ضحكه وهي تنضم للمجموعة بانتظار إشارة الإنطلاق. شعرت بغصة تكاد تخنقها وهي تنظر إلى كل المتسابقات اللواتي نجون وتغلبن على المرض. إنها مجموعة تتحلى بالكثير من القوة والإيمان والعزم.

تشابكت نظراتها ونظرات إلكترا التي بدت دامعة العينين أيضاً.

انطلاق!

انطلقت دومينيك بسرعة معتدلة تحت السماء الصافية. كلما كانت الحرارة معتدلة كلما ناسب ذلك المتسابقات. لم تكن تهتم لو حلّت الأخيرة في السباق، فكل ما تكترث له هو أن تنهي السباق بشكل مقبول.

تجمع الناس على طول الطريق فيما نقلت إحدى المحطات التلفزيونية الحدث مباشرة. لقد فتح اسم زوجها الأبواب أمامها، أبواب كانت لتبقى مغلقة في وجه جهودها.

كم كانت تحبه.

ما من رجل آخر في العالم يضاهيه. لقد رأى أسوأ ما فيها ومع ذلك ظل يحبها. وأرادته اليوم أن يراها بأفضل حلّتها، أرادته أن يشعر أنه فخور بها.

كانت الإشارات على طول الطريق تدلّ المتسابقات على مدى تقدمهن. ظلت دومينيك قريبة من الصف النهائي غير راغبة في التقدّم أكثر.

بعد اجتياز نصف المسافة لاحظت دومينيك أن معظم العدّاءات بدأن بالمشي فيما الجمهور يصفق ويهتف مشجعاً. أثار ذلك الحماسة في نفس دومينيك لأن هذا يعني أن الناس أدركوا في النهاية أن هذا كله يجري للمساعدة على زيادة الوعي ضد السرطان.

بعد اجتياز ثلاثة أرباع المسافة شعرت دومينيك فجأة بالغثيان وأخذ جسدها يتصبب عرقاً بارداً وشعرت بطنين في أذنيها قبل أن تقع أرضاً.

حين استيقظت من جديد اكتشفت أنها في سيارة إسعاف وذراعها موصولة بجهاز ما عبر إبرة.

نظرت إلى ممرضين تسألهما: «ما الذي حصل لي؟».

كان أحدهم يتحقق من نبضها: «فقدت وعيك».

- لا أصدق أني فعلت.

ابتسم وقال: «تعرّض عدد من المتسابقات للإغماء اليوم».

- لم يسبق لي أن تعرّضت للإغماء.

سألها الآخر: «ألم يسبق لك أن أصبت بالبرد؟ أو بالحمى؟».

- كلا، لا شيء من هذا.

شهقت وقالت: «آه، لا... زوجي ينتظرني عند خط النهاية! سيصاب بالهلع إن لم أظهر. لديه هاتف خلوي فهلا اتصل به أحدكما؟».

- ما اسمه؟

- أندرياس ستاماتاكيس.

أثار الاسم إهتمامهما بشكل مفاجئ وحثهما على الإسراع في التصرّف.

قال أحدهما بعد دقيقة: «زوجك لا يجيب على هاتفه. لا استغرب إن كان في المستشفى ينتظرك».

كان الرجل محقاً، فما أن وضعاها على الحمالة حتى وجدت أندرياس بجانبها وقد شحب وجهه من الخوف والقلق.

- لقد أغميّ عليّ وحسب.

- أبلغني أليكس بذلك. سيصل أهلنا هنا بعد قليل. لندخلك الآن.

وبعد دقائق معدودة، أتى أحد الأطباء ليعاينها فطلب من اندرياس البقاء خارجاً. استطاعت أن تجزم أن الأمر لم يعجبه لكنه اضطر للانصياع.

إبتسم: «يا له من زوج قلق. أطلعت على تقرير الممرضين ويمكنني أن أقول إن مؤشراتك الحيوية جيدة. يبدو أنك تعافيت لكن دعيني أطرح عليك سؤالاً قد يوفر علينا الكثير من الجهد. هل يمكن أن تكوني حاملاً؟».

طرفت بعينها، هل يمكن ذلك؟ وردّت: «إننا نحاول منذ بضعة أشهر».

- حسناً، سنجري اختبار الحمل الآن. إن جاءت النتيجة إيجابية فهذا يفسّر حالة الإغماء؟

- انتظر...

- ماذا الأمر؟

- لا تخبر زوجي. إن كنت حاملاً فأريد أن أخبره بنفسي.

قال: «فهمت. سأطلب منه الانتظار في القاعة. حالياً سأبدأ العمل على فحص الدم وسأرسل ممرضة لإجراء اختبار الحمل».

ما أن دخلت الممرضة حتى قالت لها: «آمل أن أكون حاملاً».

سلّمت دومينيك جهاز اختبار الحمل قائلة: «ألقي نظرة».

- ثمة خط أحمرّ. لا أصدق!

- هل تريدينني أن أنادي زوجك؟

- طبعاً افعلي أرجوك!

لم تمض لحظات حتى كان أندرياس يهرع إلى الحجرة. كان الخوف يملأ عينيه.

- آمل أن تكون مستعداً لتصبح أباً لأننا ننتظر طفلاً.

لم يقل شيئاً. لم يكن مضطراً لذلك.

تبدّلت ملامح وجهه تماماً. وسرعان ما أدركت أنه كان ينحني فوقها يبكي وهو يدفن رأسه في عنقها.

أخذت تلامس مؤخرة رأسه الجميل الأسود الشعر.

- أعلم أنك ظننت أن حادثة الإغماء تعني أني أتعرّض لأمر رهيب.

- لا استطيع أن أتحمّل خسارتك دومينيك.

- ما من خسارة هنا. أليس رائعاً أن تكون الحادثة الأولى لي في اليونان قد أدخلتك إلى حياتي؟ وان تعني الحادثة الثانية وصول طفل

أو طفلة؟ سأسميها ماريس إن كانت فتاة وبول إن كان صبياً. لِمَ لا تخبر ذويك لترى إن كانا يوافقاننا الرأي؟

تعلّق بها أكثر وقال: «لا أريد أن أتركك وحدك».

- لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة واحدة. فكر في ما يعنيه الأمر لهما.

نهض ومسح دموعه.

- حسناً.

طبع قبلة حارة على وجهها واختفى وراء الستار.

لم تنتظر طويلاً لتسمع صيحات الفرح ووقع الخطوات تهرع نحوها.